أول كتاب باللغة العربية حول الأقلية المجرية فى :



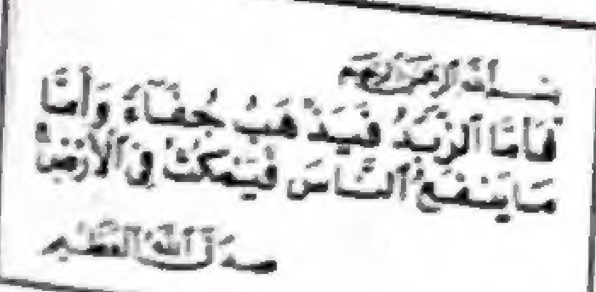
متى يبدأ المستقبل ؟!!

د. أبو القاسم عمر راجح



ترنسلفانيا

متى يبدأ المستقبل ؟!!





القاهرة : ١٣ شارع البركة الناصرية (من شارع نوبار) السيدة زينب - لاظوغلي
ت : ٣٥٥٤٣٧٦ ف : ٣٩٠٠١٣٠
ص.ب : ١٣١٥ العتبة ١١٥١١

الجيزة : ١ شارع سوهاج من شارع الزقازيق (خلف قاعة سيد درويش) الهرم - تليفون : ٥٦٣٤٦٩٩
ص.ب : ١٧٠٢ العتبة ١١٥١١
جمهورية مصر العربية

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

رقم الإيداع ١٩٩٩/١١٤٦٨
ISBN : 977-279-259-1

التنفيذ الطباعى : دار الأمين للطباعة

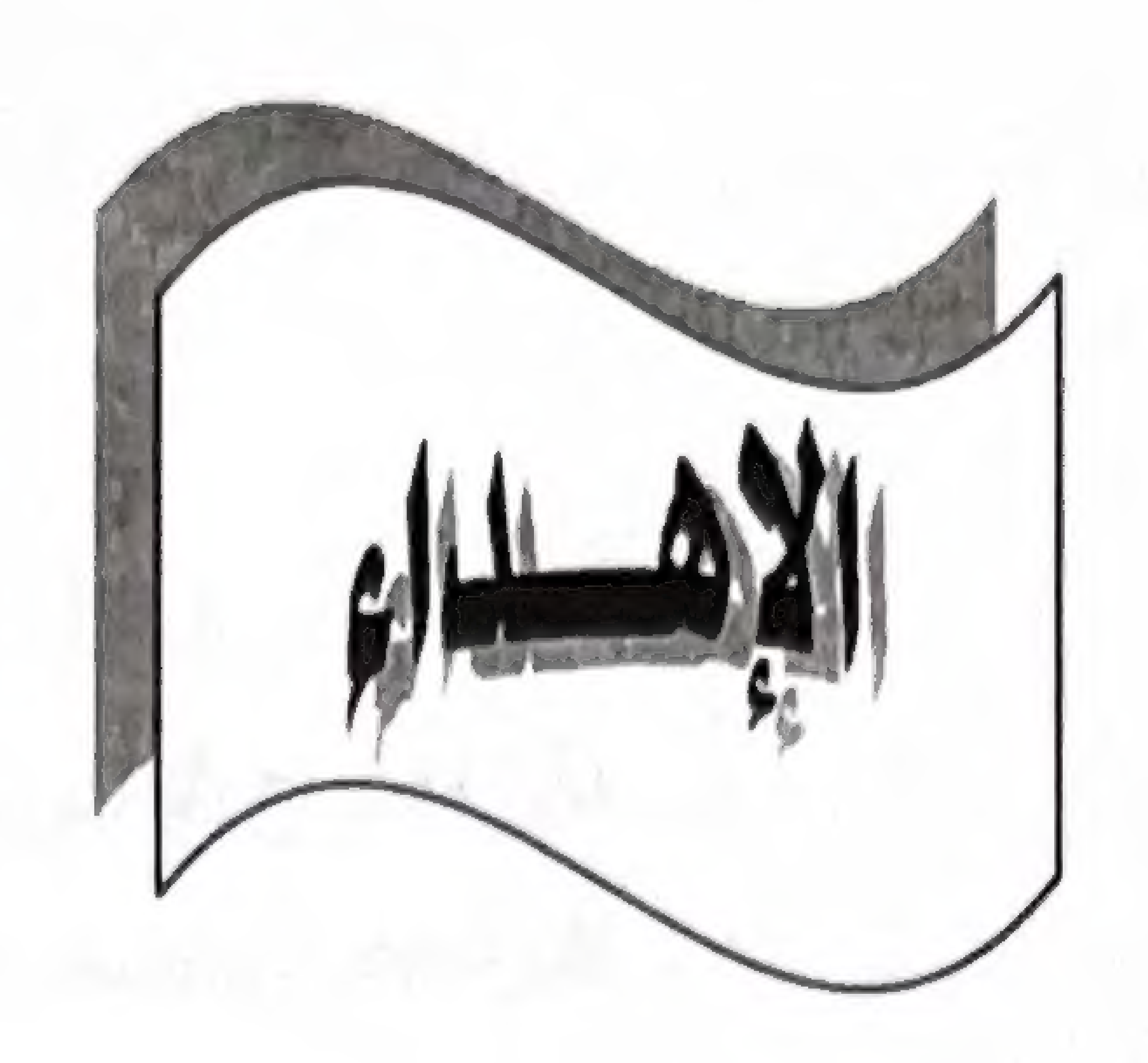
أول كتاب باللغة العربية حول الأقلية المجرية فى :



متى يبدأ المستقبل ؟!!

د. أبو القاسم عمر راجح





إلى صديقى :

البروفيسور سيرتاش لاسلو

إلى :

عمر ...... الأمل

المقدمــة

"إن العقل الجرىء الذى يحس
بأن أفـراح الآخريـن وأتراحـهم ، هـى
أفراحه الخاصة وأتراحه ، هو وحده
الـــذى يســـتطيع أن يضفـــى طــابع
الصدق، على أى سرد تاريخى ".

المؤرخ هنرى فون ترايشكة
١٨٩٦

خلال عقد التسعينات ظهرت مشكلة الأقليات كغول مخيف ، يأكل الأخضر واليابس ، ويهدد الاستقرار ، ظهرت كزلزال قوى يدمر الحدود ويشرد النـــاس، ويزرع القلق والخوف من المستقبل ، وبينما يضع العالم (المتمدن) رأسه بيـــن يديه ، وهو يشاهد ألسنة اللهب ، وأعمدة الدخان ترتفع من بقاع عدة فى العالم ، بسبب قنبلة الأقليات ومعاناة الناس ، فإن السؤال الذى يطرح نفسه الآن هـــو : هل يتحرك العالم لمواجهة هذا الزلزال ، أم أنه سينتشى بمشاهداته الدامية ، التى تمثل مأساة كوسوفو وقبلها البوسنة ورواندا وبورندى والأكراد ، أكثر المشـــاهد المرعبة فى العصر الحديث ؟!. لكن المتتبع للأحداث يكتشـــف أن معالجـــات العالم لهذه المشكلة ، تأتى دائما متأخرة ، وبعد فوات الأوان .



ومن أجل فهم أكثر لمشاكل التاريخ ، فإننا لا نجد غضاضة فى الاقتراب من أقوال الفلاسفة ، فيقول الفيلسوف البريطانى الشهير (برتراند راسل) : إن التحليق العالى يفقد الإنسان القدرة على رؤية التفاصيل ، وهكذا فحين قرأت كتاب (أقليات فى خطر) ٢٣٠ أقلية فى دراسة سياسية واجتماعية للكاتب . (تيدروبرت جار) طبعة ١٩٩٥م ، أدركت كم كان الكاتب يحلق عاليا ، إلى درجة أصبحت معها حقيقة بعض الأقليات ومنها الأقلية المجرية فى رومانيا مجرد (سطر) فقط فى جملة خبرية ، وكانت تلك هى المساحة التى أفردها لهذه المشكلة ، وكثيرون فعلوا مثله ، لقد تفاعلت مع المسألة ، سيما وأنا أدرك جيدا أن الموضوع يستحق وقفة موضوعية ، وهذا للحقيقة على أقل تقدير ، لقد شعرت بشىء من عدم الانصاف حين بحثت عن كتب تتناول موضوعات الأقليات العرقية فى أوروبا ، وفى معرض القاهرة الدولى للكتاب لثلاث سنوات ١٩٩٦، ١٩٩٧ ، ١٩٩٨م كنت آمل فى العثور على أى تناول حقيقى لهذه المعضلة، لكننى لم أنجح ، وكنت فى كل مرة أزداد قناعة بأنه ينبغى على أن أقدم محاولة للاقتراب من تضاريس المشكلة ، وأن أقبل مقولة (راسل) ، خصوصا وأننى تحدثت كثيرا ومطولا مع السفير (جورج بوستين) سفير المجر فى بلدى الجماهيرية العظمى ، وكنت فى تلك الحوارات على قناعة تامة ، بأن تقديم كتاب عن محنة ملايين الأشخاص ، بلا انحياز أو ضغينة ، أو كراهية مستبقة، وبرؤية محايدة ، سوف يقدم شيئا جديدا وينبه المعنيين للخطر ، ولقد عززت هذا الرأى بحقيقة أن قيام كاتب عربى ليبى بكتابة محايدة عن قضية لا ينتمى لها جغرافيا ، أو قوميا ، بل ينتمى لها إنسانيا ، سوف تعطى مصداقية لما يكتب ، ومن هنا عزمت على أن أنجز هذا الكتاب ، وهو الأول باللغة العربية وأقدمه للقارئ العربى حول تلك الغزلان التائهة التى تتساءل ! متى يبدأ المستقبل ؟! ولم تجد الجواب بعد .

لقد عرف المجريون العديد من العرب ممن يقيمون بينهم، وللأسف فإن رجل الشارع العادى فى مدينة بودابست أو سقد أو ميشكولتس أو سولنك ، لا يرى فى بعضهم إلا مستبدلى عملات، وتجار سوق سوداء ، أو ما شابه ذلك من سلوك يسىء للعرب ، ويشوه صورة العرب ، تلك الأمة التى فيها المبدع والمثقف والأستاذ والعالم والصحفى والطبيب والفلاح ، ولكن رجل الشارع المجرى له العذر فى ذلك ، لأننا لا نعرف كيف نقدم أنفسنا كأمة عظيمة للآخرين ، إننى آمل بهذا الكتاب أن أقترب من الحقيقة ، وأن أعطى صورة أخرى لذلك العربى فى رأى سكان بودابست التى طالما لفحنى بردها وثلجها، وطالما عشت فيها إما معاناة أو لحظات سعادة لا توصف ، وفرح كبير ، أثناء دراستى الطويلة فى المجر ، وبقدر ما أحمله من مشاعر الاحترام ، لذلك البلد الذى تحصلت فيه على أعلى الدرجات العلمية (الدكتوراه) ، فإننى أحمل الكثير من الذكريات الجميلة والتى هى أحد عوامل تشكيل المستقبل كما يقول الفيلسوف الراحل (بيرغسون) .

المؤلف

أحداث مهمة فى الذاكرة المجرية

- سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد / قبائل أسيوية من أصول هندية ، تستقر فى حوض الدانوب ، وتستوطن هناك .
- سنة ٥٠٠ قبل الميلاد / قبائل (الاقاتراس) الرعوية تستوطن المنطقة الشرق أوربية بما فيها المجر .
- سنة ٣٠٠ قبل الميلاد / زحوفات من قبائل وجماعات (التراكيان والداتشيان) استوطنت المجر وما حولها وبقيت إلى بداية القرن الأول للميلاد .
- عام ١٠٠ بعد الميلاد / جيوش الإمبراطورية الرومانية تزحف على المجر وتخضعها لسلطات روما .
- عام ٣٠٠ ميلادي / القوط البرابرة يهاجمون منطقة شرق أوروبا بما فيها المجر ويعيثون فيها فسادا .
- عام ٥٠٠ ميلادي / هجرات كبيرة من قبائل (الهون) أو (الهنغار) تستوطن المجر وتستقر هناك ، وهي الأصول المجرية للسكان الحاليين .
- سنة ٨١٠ م / احتلت جيوش شارل الأول (شارل مان) المجر وبسط سلطته على المنطقة .
- سنة ١٠٠١ م / تم إعلان (أشت فان الأول) ملك على المجر وأعلن عاصمتها مدينة بودا ، وتأسست بذلك أولى الدول المستقرة فى وسط وشرق أوروبا .

- سنة ١١٥٠ م / حكم المجر الملك (جيزا الثانى) الذى وطن الألمان الساكسون في شرق مملكته بما فيها ترنسلفانيا وذلك لتحصين المجر ضد هجمات التتار والمغول والروس .
- ١٥٢١ م / أعلن الأتراك الحرب على المجر ، وتقدمت قواتهم باتجاه مدينة بودا .
- ١٥٢٩ م / تم إعلان (جون زابولينا) أو (يانوش) حاكما وملكا على المجر .
- ١٥٤٠ م / وفات الملك يانوش ودخلول البلاد فى فوضى اجتماعية ، أدت إلى تدخل النمسا ، ووقوع حرب مع الأتراك .
- سنة ١٨٤٨ م / اشتعلت ثورة شعبية عارمة فى المجر بقيادة (كوشت لا يوش) ، وذلك فى محاولة للتخلص من سطوة (آل هابسبرج) والقمع الشديد الذى مارسته السلطات النمساوية ضد القوميات الأخرى الخاضعة لسيادتها، وقد استمرت هذه الثورة قرابة العام إلى أن تدخل الجيش الروسي لمساعدة الإمبراطورية النمساوية .
- سنة ١٨٦٧ م / بعد صراع دموي قاسى ، توصل المجريون والسلطات النمساوية إلى اتفاق (حل وسط) أنهى المواجهة وتوج بموجبه إمبراطور النمسا (فرانسيس يوسف) فى أحد (أديرة) بودابست إمبراطورا على الدولة الجديدة ، ونص الاتفاق على تأسيس إمبراطورية ذات (ثنائية) متساوية الحقوق والواجبات وفق الدستور تسمى (الإمبراطورية النمساوية الهنغارية)، وتتمتع فيها الدولتان بالمساواة والسيادة والاستقلال الكامل .

- سنة ١٨٧٣م /تم افتتاح أول مشروع للأنفاق (مترو) تحت الأرض ، في منطقة شرق ووسط أوربا ، وبذلك تكون المجر أول دولة فى المنطقة سبقت إلى هذا التحول الحضاري الهام .

- سنة ١٩١٧ م / اندلعت الحرب الكونية الأولى، وقد دخلتها المجر كحليف للنمسا إلى جانب ألمانيا وإيطاليا ضد فرنسا وبريطانيا وروسيا ، ونتيجة للحرب وخسارة النمسا وحلفائها لها ، فقد تم إيقاع غرامات وفرض عقوبات قاسية على الدول المهزومة .

- سنة ١٩٢٠ م / فى ٤ يونيو من ذلك العام، تم التوقيع على معاهدة (تريانون) التى أفقدت المجر الكثير من أراضيها ، ورسخت مفهوم الظلم التاريخي مستغلة الظروف الدولية الصعبة وبدأت فى تلك السنة محنة حقيقية للمجريين فى الدول المجاورة ، وخصوصا فى إقليم ترنسلفانيا محور هذا الكتاب .

- ١٩٤٠ م / اشتعلت الحرب العالمية الثانية ، وفى هذا العام قام الألمان بإعادة رسم الحدود وتخريط أوروبا، حيث أعادوا – وفق مخططاتهم وليس وفق الحقوق المشروعة للقوميات – أعادوا ما اقتطع من المجر إليها ومن بينها إقليم ترنسلفانيا إلى السيادة المجرية .

- سنة ١٩٤٤ م/ شكلت حكومة فاشية فى المجر موالية للألمان ، وتم الزج بالجنود المجريين فى المعارك الحربية ضد الجيش الأحمر الروسي ، وقد مات الكثيرون منهم ودفنوا فى الأراضي الروسية .

- عام ١٩٤٥ م / احتلت القوات الروسية المجر محررة إياها من الألمان ومعيدة احتلالها من قبلهم ، وتم تأسيس حكومة موالية للروس .

- عام ١٩٤٧ م / تأسست حكومة ومنظمات سياسية مشابهة للنظام الستاليني في إدارة الدولة بحيث تحولت المجر إلى نموذج للدولة الروسية .

- عام ١٩٥٦ م / حدثت الثورة المجرية الشهيرة أو ما يعرف بأحداث بودابست ، عندما تدخل الجيش الأحمر الروسي لقمع الثوار المجريون، وقد حدثت مجازر وأعمال ملاحقة وقمع شديدين .

- عام ١٩٥٧ م / برز اسم الرئيس الراحل (كادار يانوش) كرئيس له ميزات خاصة للمجر ، وللحقيقة فقد تمتعت المجر تحت حكمه بالازدهار النسبي قياسا بالدول الشيوعية المجاورة لها ، ومن ذلك ظهرت مقولة (إن المجر هي البلد الشيوعي الوحيد في العالم الرأسمالي ، والبلد الرأسمالي الوحيد في العالم الشيوعي) .

- سنة ١٩٨٨م / حدث التغيير الهام في المجر الحديث، خصوصا بعد ظهور سياسة تغيير جذرية في روسيا وتطبيق سياسة (البروسترايكا) و(الغلاسنوست) التى أوجدها الرئيس الروسي الأسبق غوربتشوف .

- عام ١٩٩٠م/ انتهى الحكم الشيوعي وبدأ عهد الدولة المدنية ومجتمع تداول السلطة السلمي في المجر .

الفصل الأول

لمحة تاريخية عن حاضنة ترنسلفانيا

" المجر ورومانيا ... هذان البلدان كانا الأكثر مصاعب بالنسبة لنا فى الاتحاد السوفيتى ... فى المجر قالوا لى انه لم يؤمن احد بالشيوعية ... انها بلدان عصية

ف. م. مولوتو

القضية التى يتناولها هذا الكتاب تخص تحديدا المنطقة الجغرافية الواقعة الآن داخل نطاق دولة رومانيا السياسى والاجتماعى والاقتصادى والتاريخى وتنتمى إلى دول المجر على المستوى الثقافى والتاريخى والجغرافى أيضا ، لذلك يبدو من المنطقى أن نقوم بمسح معلوماتى حول الدولتين والشعبين والأمتين ، حتى نلم بأطراف هذه المشكلة الموروثة والتى لا علاقة سببية للأجيال الحالية بها ، بقدر ما هو موروث تاريخى نتج بسبب تراكم الأحداث التاريخية الماضية ، أو نتج عن سوء تقدير وانتهازية ، ودوافع أنانية كانت تقودها مغامرات وأحلام تأسيس دولة قوية على حساب الشعوب ، مدفوعة بعقدة التفوق والتميز ، أو عقدة الدونية والانتقام ، من هنا سنعرج على تاريخ دولتى رومانيا والمجر ومن ثم ندخل إلى ترنسلفانيا أو أردى . ويجب أن أشير إلى أن تناول مشكلة الأقليات فى رومانيا ، لا يعكس أية كراهية تجاه شعب رومانيا وإسهاماته الحضارية ، ولكنه محاولة لتسليط الضوء على قضية تاريخية موروثة سببت معاناة وإرهاقا للكثير من البشر .



رومانيا

يعود اسم رومانيا إلى عهد الإمبراطورية الرومانية ، ففى عهد الإمبراطور (تراجان) إمبراطور روما وصاحب الفضل فى توسيع رقعة أملاك الرومان حيث وصلت جيوش الرومان إلى منطقة البلقان وشرق أوربا ، خلال بدايات التاريخ الميلادى ، ونتيجة لما أسفرت عنه سياسات روما الرامية إلى نشر الثقافة واللغة الرومانية فى مستعمراتها بالقوة وبالإكراه وبالتشجيع والترغيب ، فقد اكتسبت المنطقة الجغرافية التى تسمى الآن رومانيا اسمها منذ ذلك الوقت كتمييز لها عن بقية القوميات والأقاليم ، ولقد استمرت آثار تلك الحملة التراجانية إلى يومنا الحالى سواء باسم رومانيا أو بالتواصل الثقافى واللغوى السائد الآن ، ففى الوقت الذى تخلصت فيه روما من تلك اللغة بشكل نهائى فإن سكان رومانيا لا زالوا يتكلمون تلك اللغة الرومانية القديمة أو اشتقاقاتها إلى يومنا الحالى ، رغم وفود العديد من الغزاة والفاتحين بعد (تراجان) ، كالقوط والوندال والمغول والتتار والأتراك والروس والهنغار والألمان والنمساويين ، وإبان الاحتلال التركى خلال نهاية القرن الخامس عشر وعبر استراتيجية الإمبراطورية التركية التى تمحورت حول تجنيد حكام محليين وإقامة سلطة ذاتية فى المستعمرات التركية خاضعين وموالين للباب العالى فى الأستانة بتركيا يتكفلون بجمع الجزية ودفع الضرائب للحكومة المركزية ، ويتكفلون بقمع الانتفاضات ومواجهة التمرد ومحاولات الثورة ضد الأتراك ، عبر هذه الاستراتيجية قام الاتراك والذين كانوا يستعمرون مناطق واسعة فى أوروبا بما فيها رومانيا الحالية وبلغاريا ويوغسلافيا واليونان والمجر إلى نهر الدانوب، قاموا بمنح بعض الأقاليم الاستقلال الذاتى ، ومن ضمن تلك الأقاليم



منطقة (الافلاق والبغدان) وهما نواة رومانيا، التى عين لهما الأتراك حكاماً محليين ومنحوهم الحكم الذاتى تحت إشراف تركى فى مجالات الدفاع والأمن والسياسة الخارجية والموارد المالية ، ونتيجة للتغيرات الحادثة فى تلك الأوقات والصراعات القوية بين الأتراك والإمبراطورية الروسية والإمبراطورية النمساوية وسياسات الاستقطاب والهيمنة ثم استبدال حاكمى الاقليمين بحكام من اليونان ، وبسبب الفساد السياسى والمالى والرشوة التى تفشت ، قام الحاكمان بتقديم مناطق واسعة من الأقليمين إلى إمبراطورية روسيا وهما (بكوفينا عام١٨١٢ وبشاربيا) ، فى محاولة لاستمالة جانب روسيا ضد الأتراك ، مما سبب فى حدوث مواجهة عنيفة ، ولم تستعيدهما الإمبراطورية التركية إلا فى عام ١٨٥٤ عندما تبدلت التحالفات الدولية ودخلت بريطانيا فى مواجهة (آل هابسبرج) ومواجهة الإمبراطورية الروسية فاتخذت حجة لذلك وهو الحفاظ على مصالح الأمبراطورية التركية ، غير أن انبعاث الروح القومية وتأثير شعارات الثورة الفرنسية ورياح التحرر والهوية الاجتماعية جعلت من إرادة سكان الأقليمين تنزعان للوحدة وتأسيس حكومة واحدة حيث كانت برئاسة (الاسكندر كوزا) وذلك تحت اسم (إمارة رومانيا) واتخذا من مدينة بوخارست عاصمة لها، وقامت الحكومة الجديدة باصلاحات جادة والغت الاقطاع ومنحت المزارعين حقوقاً وامتيازات مما أثار غضب الإقطاع ورجال الدين الذين عزلوا (كوزا) عام ١٨٦٦م وعين بدلاً منه (شارل الأول) الذى يعود إلى أسرة (هو هنزلرن) الذى عرف بالقوة والشدة ، وفى عهده أصبحت رومانيا مملكة قوية يحسب لها حساباً فى المنطقة ، وأمام هذه التطورات اندلعت حرب جديدة بين الإمبراطورية الروسية والتركية فى عام ١٨٧٧ وانضم الرومان إلى روسيا ضد الأتراك وألحقوا هزائم مريرة بالأتراك ، وأمام هذا الوضع الجديد أعلنت إنجلترا التدخل لصالح تركيا مما أجبر الجميع على الدخول فى مفاوضات أسفرت عن توقيع

معاهدة (إشتفانو) فى مارس ١٨٧٨ ، وكنتيجة لهذه المعاهدة نالت رومانيا استقلالها التام عن تركيا وكوفئت روسيا بإعادة اقليم (بشاربيا) إليها وهو ما قرره مؤتمر باريس فى السابق عام ١٨٥٦ ورفضه الاتراك وتم ضم اقليم (دوبروجا) إلى رومانيا ، حيث بدأت تتشكل دولة رومانيا ، بمساحات كبيرة تطل على البحر الأسود وتشمل أقاليم الأفلاق والبغدان وبشاربيا وبكوفينا) .

ويعتبر يوم ٣٠ ديسمبر١٩٤٧ هو عيد الاستقلال الوطنى بعد أن تخلصت رومانيا من الجيوش الألمانية النازية وتحرير الجيش الأحمر لها ، بينما يحتفظ الرومان بذكريات جملية عن سنة ١٨٧٧ والتى نالت فيها رومانيا حريتها من الاحتلال التركى على يعد النمساويين والهنغار ، ويعود تأسيس البلاد كدولة ذات سيادة ولو محدودة إلى عام ١٨٨١ حين أعلن إستقلالها عن حكم الإمبراطورية التركية ، ونالت حكماً ذاتياً باتفاق جميع القوى المؤثرة فى المنطقة بما فيها حكم (آل هابسبرج) فى فيينا مقابل التحالف ضد الأتراك، وعدم السماح لهم بالعودة للمنطقة .

وتقع رومانيا فى منطقة شرق أوروبا ، وتطل على البحر المتوسط وتتوسط أوكرانيا وبلغاريا والمجر وصربيا ومولودافيا .

ولقد استفادت رومانيا من التناقضات الدولية فى زيادة مساحتها الجغرافية على مر التاريخ ، وبعد الحروب التى كانت تدور حولها كانت مساحتها تزداد باضطراد (انظر الصورة المرفقة) وذلك على حساب جيرانها ، وبعد الحرب العالمية الأولى بالتحديد تم ضم أكثر من خمسة ملايين من سكان الدول المجاورة إلى الأرض والسلطة الرومانية ، ومنهم المجريون وأرضهم فى إقليم ترنسلفانيا .



ومساحة رومانيا (الآن) ٢٣٧,٥٠٠ ألف كيلو متر مربع ، منها اكثر من ٧١٦٠ كيلو متر مربع على شكل مسطحات مائية وأنهار وأودية ، ومناخها بارد ممطر مصحوب بالثلوج فى فصل الشتاء ، ولكنه يعود للاعتدال فى الحرارة فى فصل الصيف .

ويقطن رومانيا حسب أحصائيات ١٩٩٥ حوالى ٢٤ مليون نسمة وبمعدل نمو سكانى سنوى يصل إلى قرابة ٠,١% مولود ، وتتألف رومانيا من اربعين مقاطعة أو محافظة ، ويتبع السكان الديانة الارثوذكسية بنسبة ٧% والكاثوليكية بنسبة ٦% والكاثوليكية الإغريقية (اليونانية) بنسبة ٣% والبروتستانتية بنسبة ٦% بينما لا يتبع نسبة ١٥% أية ديانة معينة، وغالبية السكان يعودون إلى الجنس الروماني بنسبة ٨٩,١% بينما يمثل المجريون نسبة ٨,٩% من عدد السكان ، أى قرابة ٢.٠٦٥ مليون وهم الأقلية الكبيرة التى تستوطن اقليم (ترنسلفانيا) وهناك نسبة ٠,٤من الألمان وقرابة ١,٦% من الاكرانيين والصرب والروس والترك والغجر.

واللغة السائدة هناك هى الرومانية ثم المجرية ، ويتحدث البعض بالألمانية وهناك لغات الغجر والصرب والكروات الذين يستعملون لهجاتهم الخاصة .

وتتميز أرض رومانيا بالتنوع ففيها مختلف أنواع التضاريس من جبال وهضاب وأنهار وأودية وسفوح وسهول ، وبها سهول منبسطة خضراء تمتد إلى نهاية البصر ، وتتناثر المدن والقرى وسط الحقول وفى أحواض المنخفضات العديدة وتبدو القرى وسط الحقول بمبانيها ذات اللون الأبيض والأسقف الجيرية الحمراء كنموذج للبيت الرومانى المقاوم للثلج ، وتبدو من ملامح سكانها أن ثقافة الرعاة والبدو هى السائدة فى أطراف المدن بينما تبدو الملامح الحضرية

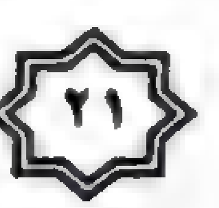


هى المسيطرة داخل المدن الكبيرة المكتظة بالسكان . ومن أهم المناطق والمدن فى رومانيا بوخارست العاصمة كما أن أهم أقاليمها هى :

ماراموريش وهونيدار وإياش وديمبوفيتسا ، وكوفاست وكولوج وكراش وسفرين وبراشوف وبوزوبريلا وبوتوشانا وناسودا وبيهورا وباكو وارجس واردى أو ترنسلفانيا ثم البايوليا وتيمش وساتومارى وبراهوف وأخيراً تولشيى وهذه المناطق هى مراكز هامة لتجمع السكان والخدمات ومواقع المدن الكبيرة حيث ازدهار التجارة والتبادل الخدمى .

وتعتبر رومانيا أحد أفقر بلدان منطقة شرق أوروبا وهى رغم احتوائها على حقول النفط وبعض المعادن إلا أن متطلبات السكان والزيادة الكبيرة فى الاستهلاك جعلها ذات دخل منخفض ، وبعد التحولات التى حصلت فى أوروبا الشرقية تسعى رومانيا إلى مواجهة الصعوبات الاقتصادية عبر اعتماد سياسات التنوع والمنافسة المفتوحة والتخلى عن التخطيط المركزى ، لذلك اتجهت للتخلص من طرق التصنيع القديمة عديمة القيمة وتحولت إلى مزاولة التصنيع الحديث والصناعات التحويلية وأصبحت تبحث عن البدائل المحلية قليلة التكلفة فى مجالات المواد الخام أو السلعة المصنعة الاستهلاكية .

ويستهلك الرومانى ما مقداره ٣ آلاف وحدة حرارية من الغذاء اليومى تتنوع بين ٢٤٠٠ وحدة من مصادر نباتية بينما يستهلك الروماني ٦٠٠ وحدة من مصادر حيوانية كاللحوم ، وتستهلك ميزانية التعليم قرابة ٦% من إجمالى الدخل العام ، وحسب إحصائيات عام ١٩٩١م المنشورة فى الصحف الرومانية فإن الواردات بلغت ٥.٥ بليون دولار كان جلها يتعلق بتوريد المعادن والمواد الخام اللازمة للمصانع والآلات والمعدات الكهربائية والأليكترونية والسلع

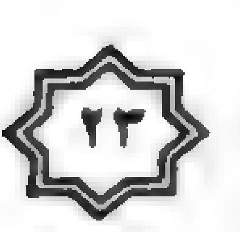


الاستهلاكية والأدوية ولوازم الزراعة وقطع الغيار والماكينات الثقيلة والسيارات ، وتصدر رومانيا ما مجموعه ٤ بليون دولار تشتمل على المصنعات الكيماوية ومشتقات الوقود والبضائع ذات المنشأ الزراعى والمنتجات الأولية والزيوت النباتية والجعة والأخشاب ، وتبلغ معدلات البطالة حوالى ٨ % من مجموع اليد العاملة ، وتنتج رومانيا ٢٢ مليون كيلو وات من الطاقة وتبلغ ديونها الخارجية ٥ مليارات دولار سنة ١٩٩٥ (فقط) ، ويعود ذلك إلى سياسات تشاوشيسكو الحكيمة .. الذى كان ينظر إلى مسألة الديون على أنها قضية (كرامة قومية) من وجهة نظره هو ! .



قصة غريبة من الماضى

حين دخلت قوات الجيش الأحمر السوفيتى بوخارست كان عملاء روس قد دبروا مهمة إنقاذ زعيم الشيوعيين الرومان غيورغى غيورغيو - ديج من أحد الزنزانات لقاء عدة كيلوات من الذهب لمسئول السجن الألمانى ، ولم يكن السجناء من السياسيين فقط بل كانوا من أصحاب الجنايات كان من بينهم شاب له صلات بعالم الجريمة وتهمته النشل ، وقد ساعد فى إيصال الذهب وتحرير ديج، وعندما تزعم ديج رومانيا استدعى الشاب النشال وأمن له عملاً ثم أصبح من نشطاء (الكومسمول) منظمة الشبيبة الشيوعية فى رومانيا ، ولأنه يعرف الرئيس فقد تطور بسرعة وأصبح خلال فترة زمنية قصيرة رئيساً لاتحاد الشبيبة ثم ترقى للعمل فى الحزب الشيوعى الرومانى إلى أن تولى منصب الأمين العام للحزب إنه نيقولاى تشاوشيسكو .



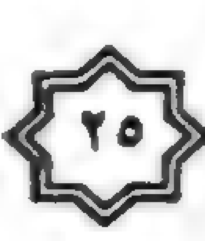
المجر

تكونت المجر كدولة ذات شخصية مستقلة بالمفهوم المعاصر في بداية القرن العاشر للميلاد ، حين أعلن الملك اشتفان الأول ملكا على (بودا)، وتقول روايات تاريخية إن سكان المجر ذوى أصول فنلندية ، وأن هناك تشابه في المنشأ بين القبائل المكونة للقوميتين ، أما دراسات المؤرخين فتقول بأن سكان المجر هم من قبائل (الهون) القادمة من آسيا ، واستوطنت تلك القبائل في سهول المجر الحالية بالقرب من نهر الدانوب ونهر تيسا وأقليم أجار وترنسلفانيا وبيشار ، وأنها كانت قبائل تهوى الرعى والزراعة وركوب الخيل ، ولازال المجريون الحاليون من عشاق الخيول وخصوصا في المناطق الزراعية والسهول ، ومن الدلائل على تفرد سكان المجر بالأصول الشرقية هو عدم تشابه لغتهم بأية لغة مجاورة، كما أنها لا ترتبط باللاتينية إلا أن من خلال الأحرف في الكتابة .

أما بعض الروايات ذات الحجج التاريخية فتقول أن سكان المجر يعودون إلى قبائل قادمة من منطقة القوقاز وتشتتت هذه القبائل في رحلات البحث عن مصادر الحياة بين المناطق السهلية في شرق أوروبا وبين العودة إلى هضاب القوقاز، ولكى نستوعب تاريخ تكوين المجر سكانا وسلطة وثقافة وتاريخا علينا أن نعود إلى الزمن الماضى ، إلى البداية ، وتحديدا إلى الألفية الثانية قبل الميلاد ، لنرى بشكل بانورامي الملامح التاريخية لتكوين سكان المجر الكبرى ، لنكتشف أن الإقليم استوطننة قبائل هندية (أسيوية) وأخري ألمانية كانت تسعى



للبحث عن المراعى والمياه ، ولقد ظهرت قبائل (الأقاثرس) فى القرن الخامس قبل الميلاد ، وتبعهم بعد ذلك ظهور (الحشاشين) الذين ازيحوا من المنطقة تحت ضغط الغزاة التراكيان (العبيد) (والداتشيان) قطاع الطرق الذين أسسوا دولتهم التى دامت إلى القرن الأول من الميلاد حيث ازاحتها جيوش الإمبراطورية الرومانية وهزمتهم ، وتحول الإقليم بعد ذلك إلى السيادة الرومانية كجزء من الإمبراطورية الرومانية ، وبعدها تعرضت المنطقة لغزوات (القوط) الذين استوطنوا المنطقة وعاشوا فيها فساداً ، وظلوا هناك إلى أن طردتهم قبائل (الهون) أو الهنغار الذين استقروا فى هنغاريا وما حولها، لقد توحدت منطقتى (Gepids) و(Avars) مع الأقاليم المحيطة والمكونة للمجر الكبرى بما فيها المنطقة التى تسمى الآن ترنسلفانيا الحالية واستمرت المنطقة تحت سلطة موحدة إلى أن هزمت جيوش (شارل مان) أو شارل الأول عام ٨١٠م جيوش الأقار، وبسط شارل مان سلطته (الفرانكوغربية) على كل المنطقة بما فيها المجر الحالية التى كانت تتمتع باستقرار ملحوظ ، ومع بداية القرن التاسع عرفت المنطقة تقلبات عنيفة حيث غزت قبائل بلغارية المناطق الشرقية من المجر الكبرى وأخذت إقليم ترنسلفانيا وكونت سلطة موالية لملك البلغار ، بينما ظلت الشعوب القاطنة في المناطق المجرية بمعزل عن تلك التقلبات الحادة بسبب طبيعة المجريين المسالمة وتمسكهم بالسهول الخضراء وضفاف نهرى الدانوب وتيسا ، وقد لاحظ المؤرخون عدم حدوث تغيرات تذكر فى التشكيل العرقى لمنطقة المجر وما حولها بالكيفية التى جعلت سكانه يضلفون جزء منه مع احتوائهم على بقايا شتات من قبائل البلغار والسلوفاك والرومان الذين كانوا يميلون للإنسحاب والحركة الدائمة إبان حكم الأقار للمنطقة ، وبنهاية القرن التاسع كانت الهجرات السكانية والتبدلات المعهودة والروتينية للقبائل بسبب

البحث عن مصادر الحياة والغزوات وتبدل الممالك والسلاطين التى هبت على المنطقة قد رسمت ملامح قلقة على وجه جغرافية وسط أوروبا غير المستقرة، ومع ذلك فقد حدث تحول هام عندما استطاع المجريون بسط سلطانهم بشكل مطلق على سهول الكربات وكل الأقاليم المجاورة لهم ، وأسسوا تقاليد جديدة من الاستقرار والمدنية والنظام فكانوا بذلك أول من أسس الدولة المستقرة فى المنطقة بكاملها .

ويقول الرحالة المصرى محمد ثابت فى كتابه (جولة فى ربوع أوروبا ١٩٣٦) فى وصف المجر وسكانها : "المجريون مرحين وخفيفى الظل ، ورقيقى العواطف ، ومن ثم اشتهروا بالاستقرار وحب الموسيقى والكرم ، ويتمتعون بدرجة من النظافة ، وهم قريبى الشبه من الفنلنديين الذين يمتون إليهم بصلة القرابة العرقية".

ونلاحظ أن الكاتب المصرى يميل إلى النظرية التى تقول بأن سكان المجر وفدوا أساسا من قارة آسيا فى مجموعات من قبائل الهون أو الهنغار وإنهم انقسموا إلى فريقين ؛ أحدهم اتجه شمالا إلى أرض فنلندا والثانى استقر فى حوض الدانوب وسهول ترنسلفانيا ، وكان ذلك فى منتصف القرن الثامن الميلادى تقريبا ، ولذلك تمتع المجريون بترابط حضارى وقابلية للانصهار مع الآخرين وقابلية للتنوع والأخذ والعطاء ، ومن ثم فالمجريون يحبون تربية الخيول وفرسانهم يسمون (التشيكوز) ، ولهم صفات شرقية فى التقاليد ، كما أنهم يميلون لتقليد الحضارة الغربية فى التطور وسرعة الاستيعاب ، فهم أول من بنى خطوط المترو تحت الأرض فى وسط أوروبا وهذا دليل على التنوع وسرعة التطور .



ولسنوات طويلة شهدت المجر مدا لنفوذها وسلطتها ، وازدهرت كبلد مهم فى المنطقة خصوصا بعد أن أصبحت بلدا مستقلا ذا تأثير فى محيطه منذ القرن العاشر للميلاد وإعلان المملكة تحت راية الملك (اشت فان الأول) .

إن ربوة بودا الشاهقة التى تحرس بودابست الآن هى شاهد على أحداث التاريخ وتحتضن تلك الربوة القلعة التاريخية والكنيسة التى أعلن فيها الملك (يوسف فرانسوا) أمبراطورا على النمسا ومملكة المجر وفى الربوة العالية يحتل تمثال الفارس المجرى (هينادى) موقعا مميزا فى المكان وفى أذهان المجريين أيضا فهو المحارب الذى قاتل الأتراك وطردهم شر طردة ، لكنه أنصفهم عندما كتب على النصب التذكارى للمعركة الحاسمة التى ردت الأتراك باتجاه بلادهم " لقد قاتلنا الأتراك بشجاعة وقاتلونا حتى الموت بشجاعة ، لكننا انتصرنا " .

والأتراك الذين حكموا المجر قرابة ١٤٥ سنة ، تركوا ذكريات مؤلمة وتاريخا مليئا بالدموع ، لكنهم لم يتركوا أى أثر معمارى أو حضارى وهى عاداتهم فى أغلب البلاد التى احتلوها ، فلا شيء لديهم يتركوه سوى المعاناة .

وعقب خروج الأتراك وتحرر المجر وتوحدها مع النمسا فى امبراطورية آل هابسبرج عادت البلاد واستقلت ولكنها دفعت ثمنا فادحا لذلك من ممتلكاتها، وفى الحربين الكونيتين الأولى والثانية كان عليها أن تقدم ضريبة الخسارة واللعبة السياسية العالمية رغم أنها كانت دائما الطرف الذى يسلك رد الفعل وليس الفعل ، وبعد الحرب العالمية الثانية وجدت المجر نفسها فى حلف وارسو بعد أن شحن لها الروس حكومة فى سيارة (لورى) وبعد تفتت الاتحاد السوفيتى وانحلال حلف وارسو تنفس المجريون الصعداء وبدأوا يرون الأشياء على حقيقتها .

وتنقسم البلاد الآن إلى ١٩ اقليما أو محافظة يقطنها قرابة العشرة ملايين نسمة ويتحدث سكانها المجرية ٩٨% ، وفيها عدد من الاعراق ، منها الغجر بنسبة ٥,٨ % والألمان ١,٦ % والسلوفاك ١.١ % والسلاف ٠,٣ % والرومان ٠,٢ % وبها قرابة ٩ آلاف مكتبة وفيها ثمانية آلاف عنوان ينشر سنويا وتبلغ نفقات التعليم قرابة ٩ % من إجمالى الدخل العام .

وتمثل الزراعة القطاع الأهم فى الحياة ثم تأتى بعد ذلك الصناعة التى تستهلك مجتمعة ٥٠ % من الأيدى العاملة وتصدر المجر الأغذية ومعلباتها والزيوت النباتية والسلع الاستهلاكية ومواد أخرى قابلة للتصنيع وبها دخل معتبر من السياحة التى تبلغ ٢٢ مليون سائح سنويا ، بينما تستورد بقيمة ١١,٦ بليون دولار وقودا وموادا مصنعة وآلات ومعدات كهربائية وبها معدل بطالة يبلغ ٨ % وعليها ديون تبلغ ٢٤ بليون دولار .

وهكذا فإن المجر الكبرى التى كانت تضم مناطق شاسعة تبدأ من البحر الادرياتيكى وإيطاليا جنوبا وتخوم البلقان شرقا وأجزاء من أكرانيا وسلوفاكيا شمالا قد أصبحت الآن دولة صغيرة ينظر سكانها إلى أقليم ترنسلفانيا على اعتباره آخر محطة خرج منها قطار الأمس .



اقليم ترنسلفانيا السكان والجغرافيا والتاريخ

يمكن أن يحصل لغط حول كلمة سكان أصليون بالنسبة للسكان في قضية كوسوفا أو البوسنة ويمكن إلصاق التهمة بالاتراك فى قضية كوسوفا وبالتاريخ نفسه ، رغم أن الحقائق تقول أن سكان المنطقة من الألبان ويعودون إلى الأصل (الأليريانى) القديم فى أوروبا ولغتهم أحد اللهجات اللاتينية ، وهم ينسبون إلى جبال الألب ، ولكن ذلك اللغط لن يحصل فى حالة سكان أقليم ترنسلفانيا فى رومانيا ، فهم مجريون عاشوا منذ زمن بعيد ، ولم يعبروا أية حدود أو أنهار ، بل أنهم موجودين حسب المصادر التاريخية منذ زمن طويل وكانوا محبين لأرضهم كارهين الهجرات .

وقد استعان بهم الامبراطور البيزنطي (قسطنطين بردفير جينيتوس) فى حروبه وكان يعود إليهم كلما واجهته أزمة ، وحتى فى حالات الاضطراب والقلاقل التى شهدتها المنطقة حين يحصل صراع على السلطة أو تطاحن فى قلب الامبراطورية فقد كانوا ميالين لاحترام ولاءاتهم . وغير مبالين باقتناص الفرص أو اغتنام اللحظات الحرجة وما أكثرها فى الماضى .

إن الدارس لتاريخ تكون أقليم ترنسلفانيا يصطدم بحقيقة استثنائه من الشكل العام للاقليات ، فهو يشكل ظاهرة مميزة فى وسط أوروبا سواء من حيث السكان أو الأرض ، لذلك فتكوينه العرقى (الأثنى) يجعله مثالا خاصا لحياة المجموعات المتجانسة ذات الأعراق التاريخية الواحدة ، فسكان الأقليم ليسوا أقلية قادمة من أطراف أخرى ، وهم ليسوا مهاجرين باحثين عن أرض جديدة أو على موعد مع الذهب ، والأموال كما حدث فى نيوزيلاندا أو استراليا أو حتى

أمريكا نفسها ، بل أن سكان الاقليم مواطنين اصليين كانوا يشكلون أغلبية مطلقة .

وكانوا جزءا لا يتجزأ من دولة المجر ، ولكن لتطورات الأحداث، والصراعات التاريخية بين القوميات والأعراق ، ولتصفية الحسابات بين الأقوياء والتى يدفع بالنتيجة ثمنها المسالمون ، وجد سكان الاقليم أنفسهم أقلية فى بلادهم ، فهم رغم اختلافهم التاريخى والجغرافى والثقافى والاقتصادى عن الرومان ، إلا أنهم اضطروا للتعايش معهم ، والأسواء من ذلك فقد أجبر سكان الاقليم على تجرع مرارة الواقع والعيش كمواطنين من الدرجة الثانية فى وطن لم يبخلوا عليه أبدا طوال الزمن .

وبالرغم من أن وسيلة المجريين فى التعامل مع المجموعات القومية التى عاشت مع بعض فى الأقليم والأهداف التى ابتغوها والتى تعود لقرون من الزمان ، فإنهم لم يؤسسوا روابط هوية جديدة مع من حولهم لتفرد التقاليد والتاريخ والهوية القومية ، رغم انه كانت هناك محاولات لتذويب الأقليم ، ولكن خصوصية سكانه الأصليين كانت عامل مقاومة رغم أن السياسات الأوربية حددت الملامح الهامة لتاريخ ترنسلفانيا وجعلته لا يضمحل أو يتلاشى فى الاقاليم التى حوله أو أن يتحول إلى دولة مستقلة أو أن يعود إلى وطنه الأم .

إن اسم ترنسلفانيا الآن يعنى كل المنطقة التى قضمت من المجر والحقت أوضمت الى رومانيا نتيجة لاتفاقية أو معاهدة (تريا نون) التى وقعت فى ٤ يونيو ١٩٢٠ .

إن مساحة ١٠٣ الف كيلو متر مربع قد وهبت إلى رومانيا انتقاما من شعب ليس له دخل فى حروب الكبار .

إن إقليم ترنسلفانيا كان يعنى قبل ١٩٢٠ ذلك الجزء من المنطقة الشرقية لترنسلفانيا الحالية والتى كانت إمارة مستقلة ، وكلها كانت خاضعة لدولة المجر الكبرى وكانت ترنسلفانيا تاريخيا كإقليم مستقل بسكانه المجريين تعد من ٥٦ إلى ٦١ الف كيلومتر مربع وبدون المنطقة التى تعرف بإقليم (بارتنيوم) أو (بارتاش) ، لقد الحقت منطقة (بارتيوم) بالمجر والتى خضعت لسلطة إمارة ترنسلفانيا مباشرة والتى بدورها كانت أحد المقاطعات المجرية التى تعين لها المجر حاكمها .

إن اقليم (بارتيوم) تذبذب فى ارتباطه بإقليم ترنسلفانيا حسب المناخ السياسى أو الظرف التاريخى ، ففى حين أصبح جزء من إقليم المجر الشمالي يتألف من بيهار وسوتمار واوقوتشا ومارموروش ، فإنه فى وقت آخر كان يتبع مجموعة الأقاليم المجرية الاخرى مثل زوراند ، وكراشنا ، ووسط سولنك ، وفى مرات أخرى كان الإقليم يقيد بسلطات أكثر وكان يتبع منطقة كوفار ، وتلك المناطق كانت تدار بولاة أو حكام يعودون إلى حاكم المجر ، وهذه الدورة التاريخية للإقليم وتبعيته الدائمة للمجر هى التى صبغت عليه الارتباط المستمر بأحداثها وإتجاهه الدائم للغرب .

لقد كان لسيطرة المجر ومد نفوذها على الإقليم منذ نهاية القرن التاسع ميلادى واعتناق المجر المسيحية أثرا فى جعل الإقليم جزءا من الحضارة الغربية وتحوله إلى أن يكون جزء من الجدار الأمامى للدفاع عن الغرب كما حدث فى الاجتياج التتارى والمغولى والروسى والتركى .

ومنذ ذلك الزمن وإلى القرن العشرين أصبح الأقليم شريكا فى التحولات التاريخية والتطورات التى تعصف بوسط أوروبا بشكل عام وبالمجر بشكل خاص وكان جزءا مكملا ومهما من دولة المجر .

لقد كان الاقليم سياسيا وعاء لعدد من القوميات العرقية بالأضافة للمجريين كالسيكلر والساكسون الالمان والرومان والغجر ، وكان الاقليم متفتح دينيا خصوصا بعد التحولات الاصلاحية التى حدثت فى الكنيسة المسيحية فالاقليم يضم الكاثوليك والمصلحين من اتباع (جون كالفن) والبروتستانت والانجيليين والديانات الاخرى.

أن (الساكلارش) وهم أحد الأعراق التي عاشت مع المجريين فى إقليم ترنسلفانيا يختلفون سوأ من حيث اللغة أو الجنس عن بقية المجريين ، فالاسم ورثوه من تطورهم التاريخى ولقد أحكم المجريون سيطرتهم أو سلطتهم على الساكلارش فى الإقليم منذ القدم لحماية الحدود الشرقية لمملكة المجر عندما كان الترنسلفانيون يتحدون ويعززون منطقة سهول الكاربات (دفاعا عليها ضد هجمات الغزاة) أن الساكلارش منحهم المجريون لقب (حراس الحدود الأحرار) لذلك كانوا أصحاب امتيازات وفوائد مشابهين للأشراف فى السكان الساكسون .

أن أغلب الساكلاراش كانوا فلاحين ونسبة كبيرة منهم وهبتهم المملكة المجرية الدرجة الشرفية كمكافأة لهم على خدماتهم الجليلة للمملكة ولخدمتهم فى الجيش وحفظ الحدود .

وبمجيء القرن الخامس عشر كانت التركيبة السياسية والحكم الذاتى فى الإقليم قد تزعزعت بفعل الحروب ، لذلك تحول الإقليم إلى الخضوع للسلطة المجرية المباشرة وأصبح جزءا من الأقاليم المجرية ، وأعطى للسكان الآخرين من الساكلار والساكسون صلاحية تكوين مجالس محلية وتمت إدارة الأقاليم بسياستها الخارجية والدفاعية والأمنية من المجر .

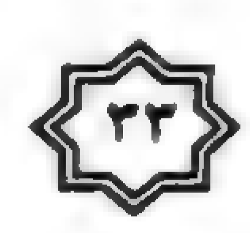
إن منطقة الساكلر ، المنطقة التى سكنوها فى العصر المتوسط فى جنوب شرق وسط ترنسلفانيا تتألف من المقاطعات التالية . أو دفارهاى تشيول ، هارومسا ، ماروش توراداا، موارش ، ارانيوسال بارسوف .



وحين ألحق إقليم ترنسلفانيا برومانيا كان هناك حوالى ٦٠٠ ألف من الساكلرش فى الإقليم . وهم يعتنقون الديانة المسيحية مثلهم مثل المجريين والرومان الكاثوليك أو البروتستانت .. إن المجموعة الأخرى من الأقلية المجرية انفصلت بواسطة عوامل الزمن عن الساكلرش ومنهم المجريون (التشانجو) ، وهناك فئة أخرى من السكان هم (الجيماش تشانغوا) فى الإقليم ويقطنون حول نهر تونتروش أو (تاتروش) والأودية المحاذية له ، أما بالنسبة للمتحضرين من جنس التشانجوش فإنهم يعيشون حول المدن مثل سيتشل بالقرب من براسوف ، والتشانجوش الآخرين يعيشون خارج ترنسلفانيا وخارج سهل الكاربات ، فى الأقاليم التى تسمى الآن مولدافيا وبوكوفينا .

وعندما استوطنت التشانجو المنطقة التى بين جبال الكاربات ونهر سيرت لم يكونوا قد تعودوا على الاستقرار بعد ومن المحتمل أنهم هاجروا من شمال ترنسلفانيا فى القرن الثانى عشر عندما حكم المجر الملك (أرباد الشهير) . ورغم أن العديد من المؤرخين المجريين يقولون إن المولدافيون والمجريين كانوا قبائل واحدة لكنهم انقسموا عندما تعرضت المجر للغزوات واضطر المولدافيون إلى الهجرة طلبا للنجاة ، لكن بعض وجهات النظر الأخرى تقول أن التشانجوش المولدافيون سكنوا المنطقة قبل أن يقطنها المجريون وكانوا بجانب سهول الكاربات ويعتبر هذا الرأى وجيها نتيجة لتوقف الهجرات الكبيرة بعد ذلك الترحال .

إن هناك نتيجة منطقية لها مدلولات مخيفة ، فحين ندرس المنطقة اليوم من ناحية عدد السكان ، كان من المنطقي ان نجد إن هناك زيادات فى عدد المجريين فى مولدافيا حسب المنطق العددى ، ولكن عمليات (جعل المنطقة



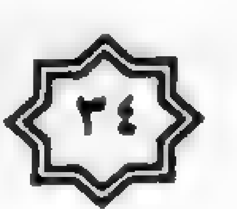
رومانية) والتخطيط لذلك بدقة ، وعمليات القمع والطغيان الرومانى والتعصب للقومية الرومانية وسياسات الطرد والتطهير العرقى من قبل حكومات بوخارست بين الحربين العالميتين أعطت نتائج عكسية ، لقد ظهرت نتيجة لسياسات الأمر الواقع الرومانية فى الإقليم عدد من الحقائق المؤلمة وهى جديرة بأن نعرفها ومنها :

إن اللغة المجرية قد أحبطت وتم تدمير عمليات التمسك بها وقد مورست عمليات إقصاء لها ولا يتمتع مستعملها بأية امتيازات تذكر .

وأن اللغة الرومانية تم التعلية من شأنها ومنحت تشجيعا وتسهيلات لمن يتقنها ، كما أن الديانة الأرثوذكسية صارت غالبة واصبح للرومان اليد الطولى فى المدن والمناطق المهمة بينما ظل المجريون فى وضع أقل مستوى معيشى، وشعروا بالإحباط والكآبة الدائمة حتى أن بعضهم أصبح يتمثل بالرومان من أجل العيش ، وفى القرى ظلت الهوية والشخصية المجرية ثابتة ولم تتزحزح ، كذلك فقد تم تعطيل المدارس المجرية التى تدرس باللغة المجرية ولم تفتح إلا فى الفترة الأخيرة ، لقد سعى المجريون للحفاظ على اللغة المجرية والفلكلور والثقافة الخاصة بهم وكذلك بديانتهم الكاثوليكية من أجل الحفاظ على أنفسهم لأن الإنسان إذا فقد هويته فإنه يصبح كالتائه .

وحسب الإحصاء السكانى الذى أجرته رومانيا أخيرا فقد كان عدد المجريين فى مولدافيا أكثر من ١٠٠ ألف شخص وهو رقم متدنى قياسا بما كان متوقع ، ويعكس حقيقة الاضطهاد العرقى القائم فى الإقليم .

إن سكان إقليم ترنسلفانيا يشتملون كذلك على العرق الساكسوني الألمانى الذين يتحدثون اللغة الألمانية ، وهم نتاج هجرات جرمانية قديمة استقروا فى



المنطقة وأسسوا وطنا جديدا لهم منذ قرون وقدموا من أقليم بافاريا وكولن وأخن ومن سهول الراين عندما تعرضت لغزوات الوندال والقوط .

وفى رواية تاريخية أن الملك المجرى (جيزا الثانى) ١١٥٠م هو الذى اعطى اقليم ترنسلفانيا لهؤلاء (الضيوف) وذلك فى (عربون مصالحة) مع ملك المانيا وفى محاولة لتحصين المجر من الناحية الشرقية فى وجه الغزوات القادمة فى روسيا والتتار والمغول ومن ثم فقد استقروا فى المنطقة وتحولوا إلى مواطنين فيها ، وقد تعزز ذلك الوضع إبان حكم الملك (أندرا الثانى) ١٢٣٠ حيث استقروا فى اقليم براسوفا كأقلية من أصول ألمانية وهم يأتون فى المرتبة الثالثة بعد المجريون والساكلرش فى إقليم ترنسلفانيا .

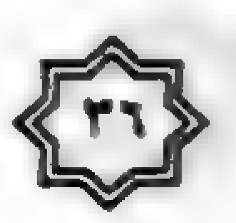
لقد كون الساكسون (جمعية ثقافية) خاصة ظلت تدعو للنهوض بالهوية القومية والحفاظ على الشخصية الألمانية وذلك منذ عام ١٤٦٠ لكن مطالبهم القومية لم تتعد حدود الإصلاح ، ولقد تأزم وضع هؤلاء الألمان الساكسون ففى ٢٠ مارس ١٩٣٧ الغيت الجمعية الثقافية وفتت الرومان ما تبقى من تطلعات وطنية وحنين للماضى لهذه الأقلية المنسية ، ولقد دفع المساكين ضريبة الوطنية عندما انهارت ألمانيا فى الحرب الكونية الثانية وأصبح رفع صوتهم غير مشروع على الإطلاق ودفنوا مع أعلام الرايخ الثالث .

لقد بنى هؤلاء القوم أهم المدن فى ترنسلفانيا وخدموا فى الصناعة والزراعة والحرف المختلفة ويبلغ عددهم أكثر من ربع مليون شخص والآن وبعد سقوط حائط برلين وعلو شأن المانيا فإنهم أصبحوا فى وضع يسمح لهم بالحديث بالألمانية بدون خوف !! .



الرومـان واقليم ترنســــلفانيا

إن أصل هذا الشعب الروماني فى ترنسلفانيا الجنوب شرق أوروبى كان ولا يزال مثار جدل تاريخى حول أصوله وهناك عدة تفسيرات لذلك فبعض الآراء تقول إنهم قبائل زحفت من المقاطعات الروسية إبان الهجرات الكبيرة، وبعض الأقاويل تؤدى إلى أنهم شعوب كانت قائمة من ضمن الإمبراطورية الرومانية القديمة وهاجرت عقب انحسار موجة الفتوحات الكبيرة التى عمت أوروبا بين القرنين السابع والعاشر وأغلب الظن أن وجود الرومان يعود إلى القرن الثانى عشر عندما استوطنوا كقبائل بالقرب من اقليم ترنسلفانيا وبمرور الزمن اندمجوا وتخالطوا مع المجريين والساكسون ، وبعض من شتاتهم استقر فى بلغاريا ، وهناك ما يدل على أن القبائل الرومانية الاولى كونت أسس التطور الاجتماعى فى منطقة رومانيا اليوم وتلك الدلائل وجدت أيضا فى الاقاليم المجاورة للشاطئ المطل على البحر الأسود . ولقد ادارت الدولة المجرية واستغلت أولئك الرومان فى الزراعة واستخدمتهم فى إداراتها وفى جنى المحاصيل والحرث وحماية الحدود . وبسبب كونهم رعاة وبدو لم يكونوا قابلين للتطور السريع وبقوا على حالتهم الرعوية الزراعية إلى أمد غير بعيد .. لقد كان إقليم ترنسلفانيا منطقة أمن للاجئين القادمين تحت ضغط الغزوات وعمليات النهب والسلب التى قام بها المغول والأتراك .. ولقد التجأ الجميع فى الإقليم إلى الأودية والمرتفعات هربا من البطش .



وفى القرن الرابع عشر ترك بعض الرومان حياة الرعاة واتجهوا للسكن فى المدن ولكن ولغاية القرن العشرين كان واضحا أن حياة الرعى أساسية لهم وكذلك الزراعة لقد عانى الرومان من العبودية على يد السلاف ، ورغم أنهم نالوا فى أوقات عديدة الحكم الذاتى والحقوق الدنيا للمواطنين كحق العمل والمواطنة ولكن بسبب وجود أرضهم فى نطاق الاقاليم الساخنة لوقوعها على تخوم الامبراطوريات فقد دفعوا ثمنا كبيرا لتلك التقلبات التاريخية .

إن رومان ترنسلفانيا لم يؤسسوا حلم (القومية) ولم يكونوا ارثوذوكس ولكن تطور الهوية الرومانية من حولهم والدعوات العديدة التى تثار فى المنطقة والداعية للقومية الأم والخصوصيات ، والضرب على أوتار التمييز والأعراق الراقية وتسفيه الأعراق الأخرى واحتقارها، كل ذلك أيقظ فيهم حلم القومية وأجج مشاعر (الرومنة) والارثوذكسية ففى حوالى القرن السابع عشر أيقظت رومانيا سكان ترنسلفانيا من غير المجريين والألمان لتبتلع أحلام القوميات الأخرى ، وتؤجج نار الحقد المتبادل ، لقد تبنى عدد من رومان ترنسلفانيا تبنوا عقيدة العودة إلى (روما) وحاولوا التواصل مع الحضارة الغربية وأوروبا الغربية خصوصا وأن اوروبا كانت تفرز حمم القومية وتصاعد الهوية الوطنية فى مواجهة امبراطوريات الاتراك وأل هابسبرج والروس .

ولقد وجدت الدعوات القومية لرومان ترنسلفانيا آذانا صاغية من سلطة (هابسبرج) لعدة أسباب أهمها :

مواجهة الطموحات المجرية فى الاستقلال التام عن النمسا ومحاولة شغل المجريين فى مناطق الجوار .. لقد كان عام ١٨٤٨ عاما متميزا للرومان فقد ألغى الأمبراطور النمساوى العبودية وأبطل الرق وأعتق العديد من الرومان



وقدم لهم بعض الحقوق المدنية ، وشجعهم على الإضرار بمصالح المجر . وتحت الثنائية المزدوجة (النمساوية - المجرية) فإن الرومان حصلوا على شرعية المطالب القومية كشعب مستقل عام ١٨٦٨ إلى جانب المجريين مما شجع رومان ترنسلفانيا على التطلع إلى رومانيا على حساب المجريين الساكلرش والساكسون الألمان فى ترنسلفانيا .

وفى الربع الأخير من القرن الثامن عشر وفى خضم انحطاط العلاقة بين المجريين والقوميات التى كانت تعيش تحت سلطتهم فقد شق رومان ترنسلفانيا عصا الطاعة وبدأوا فى معاداة المجريين بشكل معلن وكلما كبرت مساحة حرية التعبير لديهم وحرية العمل كلما كبرت مساحة العداء للمجريين ، ورغم أن الأخيرين هم أصحاب الأرض والإقليم ، ومع ذلك ظلت سلطة الامتيازات فى يد المجريين إلى أن بدأ القرن العشرين ودفعت المجر ثمن هزائم النمسا وحسابات الآخرين واقتطع الإقليم وسكانه بشكل نهائى ، وضم إلى رومانيا .

لقد تمتع المجريون بتفوق عددى مستمر إلى القرن الثامن عشر ، وفى القرن الأول للمملكة المجرية (من القرن العاشر إلى القرن الثالث عشر) كان المجريون هم المجموعة الوحيدة داخل سهول الكاربات ، ولكن مع بداية القرن الرابع عشر فإن الوجود المجرى قل كثيرا وذلك بسبب الغارات القادمة من الشرق كغارات المغول والتتار .

وبعدها استوطن عدد من القبائل الألمانية (الجرمانية - الساكسون) المنطقة لدعم الحدود الشرقية للمجر فى مواجهة غارات التتار المدمرة .

وبداية من القرن الخامس عشر بدأ الرومان يستوطنون ترنسلفانيا بشكل منظم وزاد عددهم بشكل كبير بسبب زيادة معدل الولادة لديهم وبسبب



الصراعات القومية التى نشبت فى المنطقة والوفيات بين المجريين والألمان بسبب حروب الدفاع عن الإقليم والدفاع عن حقوق الرعى والمياه والزراعة وبسبب الأمراض والمجاعة والحروب العديدة .. وليس من المصادفات التاريخية أن يكون الرعاة الرومان هم أول من استولى على الإقليم بشكل استيطان واستولوا على المناطق الجبلية وحواف الأودية والسهول وضفاف الأنهار وهى الأماكن التى تركها المجريون الذين أغرتهم (المدنية) التى تكونت فى المدن عندما بدأت الثورة الصناعية فى أوروبا ، لقد سببت هجرات الرومان من المرتفعات والجبال إلى الأودية والسهول وضفاف الأنهار والتى بدأت فى وسط القرن الخامس عشر سبب فى احتكاك وتواصل قوى بين القوميات المجرية والرومانية والألمانية ، وانعكس ذلك فى الأسماء الثنائية للأماكن والأسماء واستعارة الكلمات والتعابير .

لقد أعقب الإصلاح فى أوروبا ظهور القوميات والهوية الوطنية والأعراق والمناداة العلنية بها ، وكان فى ترنسلفانيا آنذاك ٢٥٥ ألف مجرى و ١٠٠ ألف رومانى و ٧٠ ألف ألمانى .. وبسبب استمرار استيطان الجنس الرومانى وبسبب عمليات الهجرة الجماعية التى حصلت فى وسط أوروبا تحت عدة عوامل منها البطش التركى والروسى للسكان الأصليين فى منطقة البلقان والحروب الضروس التى خاضها الجانبان زاد ذلك من عدد الرومان فى الأرض المجرية وتحول إقليم ترنسلفانيا شيئا فشيئا إلى الميلان للكفة الرومانية على حساب السكان المجريين ، لقد حدثت عملية تحول الإقليم إلى رومانى بطريقة تدريجية لعبت فيها السياسة والمجاعة والحروب والمؤامرات دورا كبيرا .. وفى نهاية القرن السابع عشر وعندما تحررت المجر من الاحتلال التركى الذى دام قرابة ١٥٠ سنة بدأ الحديث عن استقطاع إقليم ترنسلفانيا الذى تحول إلى ملجأ



للهاربين من بطش الأتراك وكان عدد الرومان كبيرا جدا ، وكانت النتيجة أن الوضع السكانى والقومى للإقليم قد تغير بشكل خطير .

لقد استمرت الهجرات الرومانية للاستيطان فى الإقليم بشكل مسترسل وحدث تحول فى ميزان القوى البشرية وأصبح الرومان يشكلون الأغلبية فى الاقليم ففى نهاية القرن الثامن عشر اصبح عدد سكان الإقليم ٦٠٠ الف رومانى و٣٠٠ ألف مجرى و١٧٠ ألف ساكسون المانى ولكن الحقيقة أنه حتى نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر فإن رومان ترنسلفانيا كانوا من السلالات الأولى التى ولدت فى ترنسلفانيا ولا يحملون الولاء للإقليم ، وكانوا أقل ثراء وأكثر فقرا قياسا بأصحاب الأرض والملاك من المجريين والألمان .. وكان الرومان فرحين بالعمل كخدم أو مزارعين لدى أصحاب الأرض الأصليين .

وقد حدثت زيادة أخرى فى عدد الرومان فى ترنسلفانيا ، ففى أحصاء عام ١٨٦٠ كان عدد الرومان ١,٣٠٠ مليون وثلاثمائة ألف والمجريون ٦٠٠ ألف والألمان ٢٠٠ ألف وفى عام ١٩٠٠ كان عدد الرومان فى الإقليم ١,٤٠٠ والمجريون ٨٠٠ ألف والألمان ٢٣٥ ألف وللحقيقة التاريخية فإنه لا يمكننا أن نغفل القبائل الغجرية التائهة التى ظهرت واستوطنت ترنسلفانيا منذ بداية الغزوات التركية للمنطقة فالغجر الذين أستوطنوا المنطقة عاشوا أولا على حافة المدن والقرى فى تجمعات منفصلة كعادتهم ، ومارسوا الأعمال التى لا يقوم بها الآخرون كالنظافة والزراعة وبعضهم مارس التجارة واستبدال البضائع .

وحسب الاحصائيات التى أجريت فى عام ١٩١٠ إلى عام ١٩٥٦ تراوح عدد السكان في الإقليم ما بين ٥ إلى ٧ مليون موزعين كالتالى :

السنة	١٩١٠	١٩٢٠	١٩٣٠	١٩٤٨	١٩٥٦
رومان	٢,٨٧٠	٢,٩٣٠	٣,٢٠٨	٣,٧٥٢	٤,٠٨١
مجريون	١,٦٦٤	١,٣٠٦	١,٣٥٣	١,٤٨٢	١,٦١٦
ألمان	١٨٢	١٨١	١٧٨	٣٠	٣٠
آخرين	٧٠٠	٨٠٠	٩٠٠	٤٠٠	٤٧٠

إن (الأرض التى تقع بعد الغابات) أو (الأرض المشجرة) كما كان يسمونها وهو أحد أسماء إقليم ترنسلفانيا هى جزء من المجر منذ عام ٨٩٦ إلى عام ١٥٤١ عند سقوط مدنية بودا فى يد الأتراك الذين تركوها للنمساويين عام ١٦٩٨ بقيادة (أل هابسبرج) الذين تركوها بدورهم عام ١٨٦٧ لتستقل تحت سلطة المجر .

لقد كان الإقليم تابعا للوطن الأم / المجر/ بعلاقة كاملة العضوية من عام ١٨٦٧ إلى عام ١٩١٨ م وظل الإقليم جزء لا يتجزأ من المجر ، وفى عام ١٩٢٠ م حصلت رومانيا علي سيادته وفق معاهدة (تريا نون) وسيطرت عليه إلى عام ١٩٤٠ عندما استعادته المجر لسيادتها ، لكنه عاد من جديد إلى السيادة الرومانية عام ١٩٤٥ م بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وظل كذلك حتى الآن .

الأتراك مروا من هنا !!

فى عهد السلطان سليمان القانونى بدأ الأتراك فى الاستيلاء على أوروبا ، وقد كانت أولى المناطق التى اجتاحوها هى ما يعرف الآن ببلغاريا وصربيا حيث استولوا على بلجراد التى كانت تحت سلطة المجريين ، ولقد توترت علاقة الاترك والمجريون عقب ذلك ، فقد أرسل السلطان سليمان موفدا خاص إلى الملك المجرى الملقب بلويس الثانى (لايوش) يخبره بتطورات الأحداث بعد استيلاء الأتراك على المناطق الجديدة ويدعوه لدفع الجزية فقام الملك المجرى بقتل الرسول التركى وهو (بهرام بهاووش) وقد تضاربت الأخبار حول هذا المسلك فقيل أن حاشية الملك المجرى هم الذين أوعزوا له بذلك ، وقيل أن الموفد التركى لم يحسن معاملة الملوك .. المهم أنه مات، وعقب هذا الحادث أعلن السلطان سليمان القانونى الحرب على المجر ، وهذا يعني ان غزوات الأتراك لم تكن لأسباب دينية ، فالإسلام ضد الانتقام والاحتلال ، وفى عام ١٥٢١ كانت القوات التركية تتجه مباشرة باتجاه الأراضى المجرية وخلال السنوات التالية كان الموقف قد تطور بشكل ينذر بوقوع حرب شاملة فى المنطقة ، إذ اتجه الملك المجرى (لايوش) إلى الاستنجاد بملوك وأباطرة أوروبا مثل إمبراطور فرنسا (شارل مان) وارشيدوق النمسا (فرديناند) بغية تأسيس حلف معادى للأتراك .

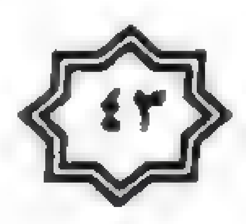
وفى يوم ٢٩ أغسطس من سنة ١٥٢٦ وصلت الحرب إلى ذروتها حيث التقت الجيوش فى منطقة (موهاج) بالاراضى المجرية ووقعت أعنف المعارك



فى ذلك التاريخ بين الجيش المجرى وحلفائه وكان المجريون من أرقى جيوش أوروبا تنظيما وتدريبا وكان لديهم سلاح فرسان شهير، لكن استخدام الأتراك لسلاح المدفعية المتطورة تكنولوجيا آنذاك ألحق خسائر كبيرة بالجيش المجرى، وحقق للأتراك نصرا سريعا وحاسما وقد تراجع الملك لايوش باتجاه المستنقعات هو وبعض من جيشه ، حيث لاقى حتفه هناك وتقول بعض الروايات التاريخية إنه مات غرقا ودخل الأتراك عاصمة المجر (بودا) والتى لم تأخذ اسمها الحالى بعد (بودابست) وبدخول عاصمة المجر تمت السيادة التركية على ارض المنطقة الممتدة من تركيا الحالية إلى (بودابست) وصدر أمر تركى بتولى أحد أعوانهم المحليين وهو (جون زابولينا) امير منطقة ترنسلفانيا أو (إردى) تولى مهمة حاكم المجر ، وتقول بعض المصادر أن الملك (زابولينا) هو نفسه الملك (يانوش) الشهير .

وعقب ذلك بسنوات شعر الأتراك أن ارشيدوق النمسا (فردينانـد) يسعى لبسط نفوذه على المجر مجددا بالتعاون مع بعض الأمراء والحكام المحليين المجريين ، وبالفعل فلم تمض ثلاث سنوات حتى استولت القوات النمساوية على اقليم (بودين) المجرى مما جعل السلطان التركى سليمان القانون يرسل قوات ضخمة لاستعادة الإقليم ، وفى مايو ١٥٢٥م تم استعادة الاقليم وتم إعلان (جون زابولينا) ملكا على المجر كلها .

وقد أغرى هذا الانتصار الأتراك على التقدم نحو النمسا ذاتها، ففى سبتمبر من نفس العام حاصرت القوات التركية عاصمة النمسا (فيينا) وكانت قواتهم تقدر بنحو ١٣٠ ألف جندى مدججين بثلاثمائة مدفع ، وقد انسحب ملك النمسا بعيدا عن العاصمة تجنبا للوقوع فى الأسر بأيدى الأتراك .

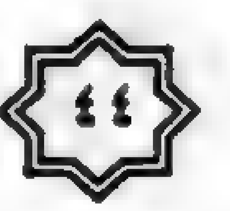


وبعد حصار طويل للمدينة تحول الأتراك للقيام بأعمال ضد المانيا التى كانت تساند النمساويين وتقدم لهم الدعم والمؤن ، وفيما تدخل الشتاء ضد الأتراك وحد من خطورتهم ومنع تقدم قواتهم ، التى تجهل كثيرا الطبيعة القاسية للمنطقة وتسرب اليأس والقنوط إلى أرشيدوق النمسا فقام بمناورة خاطئة إذ أرسل موفدا خاصا إلى السلطان التركى يطلب منه الصلح والاعتراف به ملكا على المجر فيما دفع بقوات كبيرة لاجتياح منطقة (بودين) المجرية مجددا ، وقد كان رد فعل الأتراك عنيفا إذ أرسل السلطان سليمان القانونى قوات كبيرة قوامها مائتى ألف جندى مزودين بالمدافع الثقيلة .. والغريب أن هذه القوات لم تحاصر فيينا بل اتجهت صوب ألمانيا ، وتقول مصادر تاريخية أن الهدف كان قتال أسرة (هابسبرج) وتدمير خطوط التموين وتأديب الألمان ، ودخل الأتراك مناطق عديدة من المانيا لكنهم اكتفوا بما غنموه وسلبوه وعادوا باتجاه الأراضى المجرية واليوغسلافية .

بعد هذه الجولة القتالية انكمش طموح ارشيدوق النمسا ، ومن خلال وسطاء قام بإبرام معاهدة صلح مع الأتراك أهم بنودها اعترافه بالملك (يانوش) (أو زابوليا) ملكا على المجر تحت الحماية التركية ودفع ٣٠ ألف جنيه ذهبى سنويا للسلطات التركية .

وفى سنة ١٥٤٠ مات الملك (يانوش) ، ولأنه لم يترك ورثة إلا طفل صغير هو (سيجموند) فقد حدث فراغ استغله ارشيدوق النمسا لتجديد طموحاته، وبالفعل ارسل قوات لمحاصرة اقليم بودين ، لكن الاتراك ارسلوا جيوشهم وطردوا النمساويين وفى عام ١٥٤١ عين الاتراك (سيجموند) أميرا على منطقة (أردى) أو ترنسلفانيا .

ولم ييئس ارشيدوق النمسا بل أرسل إلى البابا بول الثانى يستحثه على إرسال قوات لمواجهة الأتراك ، وبالفعل جاءت نجدات إيطالية ونمساوية



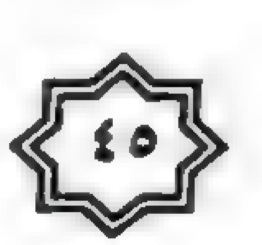
وألمانية جديدة واستطاعت الاستيلاء على مناطق عديدة منها (استرجوم) والمناطق المجاورة لها ، لكن الأتراك عادوا وأرسلوا جيوشهم واستعادوا ما فقدوه .

ويلاحظ القارى أننا نتحدث عن منطقة (اردى) باعتبارها جزء من أرض المجر وهى الآن جزء من رومانيا لأن اردى باللغة الرومانية هى نفسها ترنسلفانيا .

وبعد هذه التطورات عاد أرشيدوق النمسا للمناورة فطلب تجديد المعاهدة مع الأتراك مقابل اعترافه بالسيادة التركية على المنطقة ودفع ٣٠ ألف جنيه ذهبا سنويا ، ولم تصمد هذه المعاهدة إذ باغت النمساويون الأتراك فى منطقة أردى وما حولها واحتلوها ، مما دفع الأتراك لإرسال حملة جديدة تولت إعادة احتلال منطقة سهول أردى وتيمشوار والأراضى المجرية إلى نهر الدانوب .

وصاحب هذه الحملة التركية مطالبات من قبل المجريين برفض الحكم النمساوى والرغبة فى أن يتولى الحكم عليهم الأمير (سيجموند) ابن الملك (يانوش) وأن ينالوا الاستقلال ، وهو ما حصل بالفعل عام ١٥٥٩م بشكل اسمي ، ودانت للحاكم الجديد ابن الملك يانوش المنطقة الممتدة من بولندا إلى المجر حاليا بما فيها أجزاء من رومانيا .

وأمام هذا الوضع الجديد وقعت النمسا وتركيا معاهدة جديدة عام ١٥٦٢ تنازلت النمسا عن مطالبها فى مناطق اردى وتيمشوار وظل هذا الوضع إلى أن توفى ارشيدوق النمسا فرديناند وخلفه الارشيدوق (مكسيمليان) الذى نقض المعاهدة ودخل فى حرب جديدة مع الأتراك ، مما جعل المنطقة تدخل فى صراعات جديدة أثمرت عن حدوث هجرات وتبدلات فى الكثافة السكانية



استغليا الرومان فى النزوح للمناطق التى كان الأتراك يدخلونها ، وخلال هذه المواجهات كان المجريون يدفعون ثمن الحرب فالأرض التى تقام عليها المعسكرات والتى تمر فيها الجيوش والتى تدور حولها المعارك هى أرضهم والضحايا منهم ، مما حدا بأحد المؤرخين للمقارنة بين وضع المجر إبان الحرب التركية النمساوية بوضع هولندا وبلجيكا خلال الصراع الالمانى الفرنسى فكلاهما كان معبرا للجيوش وأرضا للمعارك .

* * *

الفصل الثاني

زيارة إلى الماضي

" لابد من استخدام الكلمات العنيفة والقوية ، إسهاماً فى انتصار العدالة ، وعلينا أن نتحمل النتائج"

الفيلسوف / ماكس فيبر

تاريخ خارج الأرض

رغم أن عدد سكان المجر الآن هو قرابة الإحدى عشر مليون نسمة، وبمساحة تبلغ ٩٣,٠٣٠ كيلو متر مربع فقط ، إلا أن العودة إلى الوراء تجعل المرء يخرج بانطباع عن الدور الكبير الذى لعبته المجر في وسط أوروبا ، لقد كانت المجر دولة قوية وكبيرة سيطرت على مساحات واسعة من أوروبا كانت أحد طرفي الإمبراطورية النمساوية الهنغارية ومنذ ذلك التاريخ وحتى بعد أن انسلخت وتحولت عقب الحرب الكونية الثانية إلى النظام الشيوعي بعد أن اجتاحت جيوش ستالين وسط أوروبا واندحار النازية ، كان لها دور فاعل ومؤثر واستثنائي وهو دليل على تفاعل سكانه وكمثال على ذلك فإنه عندما سقطت الحكومة الشيوعية سنة ١٩٨٩ عقب انتخابات ديمقراطية تمت عملية تبادل للسلطة بشكل سلمى هادئ ، والغريب أنه بعد سنوات من سقوطها فاز رموز شيوعيين سابقين ، وهم (الحزب الاشتراكي) وريث الشيوعية فازوا بالحكومة ، وهذا مثال على التمدن والإحساس بالمسئولية لدى مواطني المجر تجاه بلدهم ، وهو نفس النمط الذى ساد في السلوك المجرى عندما كانت المجر دولة كبرى ، مما يعكس أن هناك تقاليد ، وإرث تاريخي وموروث حضاري لهذا الشعب ، خصوصًا في تعامله مع نفسه .

إن هذا البلد الصغير جغرافيًا وعدديًا لعب دوراً كبيراً فى تاريخ المنطقة، وكان له فعل حاسم فى من حوله ، وكان يتمدد أحيانا ويكبر ويتسع ، ثم يعود فينكمش ، وكانت جغرافيته (المتحركة) دليل على تفاعلاته وحيويته ، ولقد



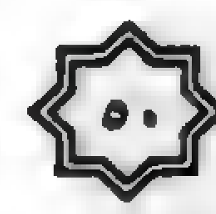
واجهت القومية المجرية أخطاراً شديدة ، ودخلت فى صراعات دامية مع جيوش التتار والأتراك والروس ، وهو ما يجعل هناك تشابهاً في الأخطار التي تعرض لها المجريون والتي تعرض لها العرب ، ففي الوقت الذى خضعت القومية المجرية للأتراك كان العرب قد خضعوا لها، وقبل ذلك وفى الوقت الذى واجهت فيه التتار كان العرب فى مواجهة مع التتار ، وهكذا . وبالإضافة إلى ذلك فقد قاسى المجريون من سطوة الروس والهابسبورجيون ، وعانوا من الغزاة فى سهول الكاربات وفى ضفاف الدانوب وحوض التسيا .

لقد فقدت المجر العديد من أرضها فى هذه الصراعات ، وتم قضم أجزاء كبيرة من هذه الدولة تحت قانون الظلم والعدوان وإفرازات الحروب ، ففي الحروب هناك قانون الغالب وقواعد القوة والسطوة ، لقد وصف التاريخ المجر بأنها بلد (ناشئ أو قائم خارج الأرض) فى إيحاء للتأثير المجرى على أحداث المنطقة في وسط أوروبا .. ويفخر المجريون بأن بلدهم كانت طيلة الألف سنة الماضية محطة للابتكار والفن والعمارة والمدنية ولذلك يشاهد المرء العديد من الأدلة الفنية والعمرانية على ذلك ، ويفخر المجريون بتاريخهم ، ولعل قيامهم بأول ثورة مسلحة ضد القوات الستالينية فى العصر الحديث فى شوارع بودابست لهو دليل على حيوية وفعالية تلك الأمة .

لقد بنى الروس أسلاكاً حديدية شائكة على طول الحدود بين المجر والنمسا خلال الحرب الباردة ولكن ذلك لم يمنع المجريون من تجاوز الأسلاك الشائكة حتى وهم تحت سطوتها ، فخلال سنوات الجدب تلك حاز العديد من علماء المجر على جوائز نوبل فى العلوم والرياضيات والطب والكيمياء ، ويقال أن معادلة الطاقة للبروفيسور (البرت انشتاين) هي معادلة لأحد علماء المجر وهو



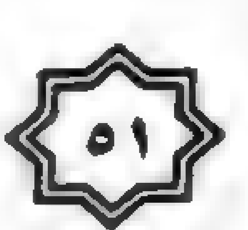
بروفيسور مجرى كان رفيق وزميل أنشتاين لسنوات عدة .. كما أن المجر أول دولة فى شرق أوروبا تفتتح مترو الأنفاق تحت الأرض ، وأول دولة تقوم بتصنيع القاطرات ، وأول دولة تقوم باستخدام وسيلة الري (بالتنقيط) .. وفي الألعاب الأولمبية التي أقيمت في كوريا الجنوبية كان ترتيب المجر الرابع بعد أمريكا وروسيا والصين ذو دلالة ليس على المستوى الرياضي للمجريين بل وعلى المستوى الإبداعي أيضا ، من هنا ندرك كم هو التأثير الذى تمثله هذه القومية الصغيرة وإلى أي مدى تتمتع بتاريخ خارج حدودها .



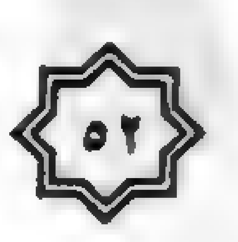
المجريون والنمسا : نهاية الأمس

فى فترة ما من الماضي كانت المجر جزءً من الإمبراطورية النمساوية الهنغارية وأحد أطرافها ، لكن المجر كانت داخل تلك الإمبراطورية تمارس (سيادة داخلية) على جغرافيتها ، وكانت هذه الإمبراطورية تحت سلطة النبلاء الذين يتمتعون بالامتيازات العديدة مثل الإعفاء من خدمة العلم والضرائب ويحصلون على أموال من خزينة الدولة ومساعدات عينية ، وكانوا يملكون الأرض ومن عليها ، ومقابل ذلك كانت غالبية الشعب ترزح تحت السيطرة وتقاليد حكم العصور الوسطى . وكانت سلطة الإمبراطورية في الداخل تتمحور حول جهاز شرطة قوى وقاسى ، وعنيف وقرارات لا تقبل الرفض أو النقاش، وعمادها البطش والعنف .

لكن تلك الإمبراطورية لم تكن بعيدة عن تطورات الأحداث الأوربية، فبسبب انبعاث الثورة الفرنسية شهدت أوروبا تطورات (قومية) خطيرة ، فبعد بروز المفاهيم الثورية الفرنسية ، وذيوع أخبارها لدى المثقفين ، وحتى رجال الشارع في المدن الأوروبية الخاضعة لسلطة الإمبراطوريات المتناحرة في القارة، حدثت ردود أفعال قوية ومثيرة ضد الطغيان وسياسة القوة ، ولقد تطاير شرار ثورة ١٨٤٨ من باريس إلى ألمانيا والنمسا ووصل لهيبها إلى إيطاليا والمجر وتشيكيا ، وغيرها من (الأقاليم) المحكومة بالحديد والنار ، وساعد على ذلك الانتشار أن الشعارات المرفوعة لها طابع إنساني حيث كثر الحديث عن إشراك الشعب في الحكم وإلغاء القوانين المعارضة للحرية وإيقاف القمع والدعوة للمساواة وحق المواطنة ، وبسبب الانقلاب الصناعي في أوروبا وخطوط السكك الحديدية والبريد أصبح هناك رأى عام يحسب له حساب وساهم ذلك في تكوين



جمعيات وروابط للدفاع عن تلك الشعارات وإعادة رفعها أمام الحكام القساة ، وفى إمبراطورية آل هابسبرج (النمسا) نهجت ردات الفعل منهجاً خطيراً إذ لم يتوقف ذلك عند المطالبة بالحقوق وحق المواطنة والحرية ، بل ذهب إلى المطالبة بالاستقلال الكامل عن النمسا وهو ما عرض الإمبراطورية للتفكك ، وقد قامت الجامعة في فينا بدور فعال من أجل نشر الشعارات المطالبة بالحرية وفى تشيكيا ظهر المناضل (بلاكى) وقاد جماهير الشعب من أجل المطالبة بالحرية والاستقلال .. وفى المجر أحد أطراف الإمبراطورية وأهمها ظهرت حركة البعث القومي المجرية بقيادة (كو شث لايوش) الذى يعود إليه الفضل في إصدار أول جريدة باللغة المجرية مما أثار المشاعر الوطنية والهوية القومية للمجريين حيث اشتدت المطالبة بالاستقلال وتحولت المظاهرات وللدعوات للحرية إلى ثورة عامة في الإمبراطورية وصلت إلى فينا نفسها مارة بإيطاليا وتشكيا وسلوفاكيا والمجر وصربيا وغيرها من مناطق النفوذ الأمر الذى لم يجد أمامه رجل النمسا القوى (مترنيخ) بداً من الهروب واللجوء إلى إنجلترا ، وأمام هذه الأحداث المتسارعة لم يجد الإمبراطور النمساوي خياراً سوى منح المجر وتشيكيا الاستقلال ، وبعد هدوء الموقف في عاصمة الإمبراطورية عاد رجال الإقطاع والامتيازات إلى لعبتهم المفضلة وهى التآمر على الشعوب والحرية فقاموا بإلقاء القبض على ثوار فيينا بعد حصارها بعشرات الآلاف من الجنود وإحراق وسط المدنية وإرغام الإمبراطور (فرديناند) على التنازل عن العرش وحل الجمعية التأسيسية ، وإصدار دستور جديد أعلنوا فيه (فرنسوا يوسف) إمبراطورا على النمسا ، وزحف الجيوش النمساوية على (دولة المجر) الثائرة، لكن تلك الجيوش لم تجد مدينة واحدة متمردة بل وجدت شعباً مدججاً بمشاعر الكراهية للمغتصب ومؤمن بوحدته القومية والوطنية ، التي نالها بكفاح وقتال دفع ثمنه دماء وأرواح كثيرة ، وأمام ضراوة المعارك واتساع نطاقها وصمود المجريين قام النمساويون بجر الصرب والتشيك والبولنديين والكروات إلى

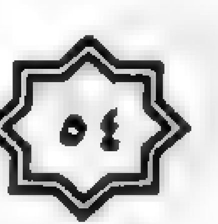


جانبها بعد أن وعدتهم الإمبراطورية بمزيد من الحقوق والامتيازات ، وهكذا وجد المجريون أنفسهم أمام عدو كبير العدد وفير السلاح والرجال وهكذا غلبت الكثرة الشجاعة .

وتم إعادة إحكام السيطرة على المجر وتقسيمها بل وتم تقطيع أوصالها الوطنية ووحدتها الترابية عقاباً لها وبسبب البطش والشدة ، ومع ذلك فقد بدأ يتفاقم الشعور القومي والهوية الوطنية ، والرغبة فى التخلص النهائي من طوق النمسا وقيودها ، ففي المجر أسهمت الشعارات القومية فى إذكاء نار الدعوى للاستقلال الكامل وضمان الاستفادة من الموارد الذاتية للمجر وضمان استغلال المنتجات الزراعية وهى المورد المهم فى المجر آنذاك ، وظهرت دعوات لاستغلال عائدات تلك المنتجات لصالح الوطن والرغبة فى دخول مجالات التصنيع والتطور والنمو الاقتصادى مثلما بدأت تلك المجالات فى التطور والاتساع فى باقي الدول الأوروبية ، وأخيراً نمى شعور الاستقلال والحرية وبناء وطن مستقل على خطط مدروسة بمعزل عن الاحتلال والتدخل ، ونتيجة للتداخل القومي في الرقعة الجغرافية للمجر فقد اضطرمت أحاسيس الكراهية وازدادات قوة تجاه الأجناس غير المجرية كالكروات والصرب في الجنوب، والرومان فى ترنسلفانيا والروتين في الشمال والسلوفاك فى الغرب ، ووصلت مشاعر الإحباط والغليان في ذروتها في ١٤ مارس ١٨٤٨ عندما حدثت ثورة شعبية عارمة فى المجر بقيادة (كوشوت لايوشت) الذى عاش من سنة ١٨٠٢ إلى ١٨٩٤م ، والذي التف حوله الشعب المجرى وأعلنه قائداً عاماً له ضد النمسا، وتمكن (كوشت) فى جعل الشعب المجرى يلتف حوله بسبب مطالبته بالتمسك باللغة المجرية علناً ومطالبته باستقلال المجر الكامل والحصول على التعويضات ودعوته لصيانة التراب المجرى ، والحقوق المجرية والخروج بالمجر من التحالفات النمساوية التي قادت المجر إلى الهاوية واستنزفت مواردها



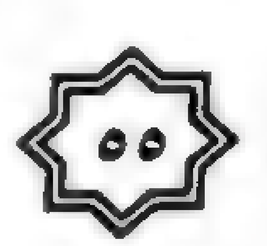
وأدخلتها في صراعات ليس لها فيها أية مصلحة وطنية ، وقد جعلت هذه المطالب من (كوشت) رمزاً وطنياً حتى اليوم ، وقد ألهبت طموحات هذا الرجل الوطني ليس المجريين فقط بل ألهبت مشاعر الوطنيين فى كل البلاد المجاورة للمجر وحتى تلك الخاضعة لسيادة المجر بالوكالة كالسلوفاك والكروات والصرب والرومان ، واشتعلت نيران الثورات المضادة للإمبراطورية النمساوية ، وخصوصاً بعد سقوط حكومة (مترنيخ) وحاولت النمسا جاهدة إخماد تلك الثورات مستعينة بالقوميات المختلفة على بعض ، ومستخدمة إحداها على الأخرى ، ونتيجة لصعوبة العودة إلى صيغة الاحتلال والسيادة المطلقة السابقة ، فقد وقعت النمسا والمجر اتفاقية (كحل وسط) في يوليو من عام ١٨٦٧ تنص على تأسيس إمبراطورية تحت اسم (إمبراطورية النمسا والمجر) تتمتع فيها الدولتان بالاستقلال الكامل ، والمساواة أمام القانون ولهما دستور وبرلمان واحد ، وتعرض هذه الاتفاقية أو المعاهدة إلى إعادة النصر كل عشر سنوات ، ولكن نتيجة لصدى نجاح الثوار فى فرنسا واتساع التأييد لهم لم تخمد الثورات، وكان كل يوم يحمل أنباء ثورة جديدة فى أجزاء الإمبراطورية النمساوية فبعد يوم ١٣ مايو ١٨٤٨ لم تهدأ الأمور ، فحين سقط (حكم مترنيخ) وعمت الفوضى قلب الإمبراطورية ، و وسط تلك الفوضى تم استحداث برلمان جديد فى النمسا ، وكذلك فى المجر ، وباقي مناطق نفوذ الإمبراطورية ، وسعى هذا النمط الجديد من السلطة إلى استحداث تحولات اجتماعية مهمة وقام الحكام الجدد بعدة أعمال ، فألغوا الفوارق وقللوا الضرائب وأشاعوا مناخاً من الثقة والأمل ، وحاولوا استمالة القوميات إلى جانبهم ، وخلال تلك الأحداث لم تمض فترة طويلة حتى انتزعت الحكومة المجرية حق السيطرة على جيشها وسياستها الخارجية والأمنية ، وكذلك حدث بالنسبة للتشيك والسلوفاك ، والصرب .



والحقيقة فلقد كان النمساويون ينظرون للمجريين نظرة مختلفة قليلاً عن باقي الشعوب ، كالتشيك والرومان والصرب والبلغار ، فلقد كان المجريون فى أغلب الأوقات جنساً مميزاً ، لم يخضع قط بسهولة للأجنبي ، ومع ذلك فكان النمساويون ينظرون إلى أمور مثل إقامة المجر لجيش مستقل ، وصك العملة واستعمال اللغة المجرية ، وما شابه ذلك من علامات الاستقلال الكامل على أنها نوع من تحطيم الإمبراطورية النمساوية مهما كان مصدرها ولذلك ظهرت معالجات عنيفة وقاسية لدعاوى الاستقلال ، فلقد سحقت المدفعية النمساوية السيادة المجرية بحدة ، وكذلك سحقت تمرد براغ الذى حدث فى ١٧ يونيو ١٨٧٨ مثلما فعلت من قبل مع الصرب ، ورغم أن المجر تحصلت على نتائج فورية لثورتها إلا أن الأمر اختلف بطريقة أجلت نيل التشيك للحرية لمدة ثلاثة أرباع القرن .

وبسبب ذلك أحكمت الإمبراطورية سيادتها على الصرب والتشيك والرومان والإيطاليين والكروات وغيرهم من الأجناس الخاضعة لسلطتها .

ورغبة من حكومة النمسا فى الحيلولة دون تقوية نفوذ المجريين فقد دفعت حكومة النمسا القوميات الأخرى كالكروات والرومان والصرب إلى معاداة المجريين وألبتهم عليهم ، واستخدمتهم ضدها، وتأججت هذه السياسة النمساوية ضد تطلعات المجريين بشكل واضح حين عينت حكومة النمسا الكولونيل الكرواتي (يوسف يلاسيك) حاكماً عاماً لكرواتيا الخاضعة آنذاك لسلطة المجر ، ولم يكتف النمساويين بذلك، بل دفعوا الكولونيل (يوسف) إلى مهاجمة مدينة (بست) على رأس جيش كبير دعمته حكومة النمسا بنجدات عسكرية ومؤن وبسبب أخبار هذه المعارك ودمويتها التي كانت قريبة من مركز الإمبراطورية فلقد اضطرمت ثورة شعبية فى فيينا مركز الإمبراطورية النمساوية لكنها قُمعت



بشدة وتم تنصيب الكونت (شفارتز نبرغ) حاكماً على النمسا الذى أزاح الإمبراطور (فرديناند) وأرغمه على التنازل عن العرش نهائياً، وأجلس مكانه ابن أخيه (يوسف فرنسيس) وتمكن الكونت من حشد قوات كبيرة قامت بمهاجمة المجر وتحطيم الجيش المجرى بعد أن تلقى الكونت مساعدات من الروس الذين ساندوه ضد المجريين ، ولقد سادت موجة من السخط الشعبي في مختلف أنحاء أوروبا للطريقة المذلة والبربرية التي أخضع بها المجريون ، فلقد كان (يوسف كوشت) محبوباً من عامة الشعب وكانت إصلاحاته وتقاليد الحرية التي نادى بها تلقى صدى طيباً لدى المثقفين فى أوروبا ، وكانت من نتائج أعمال القمع والتنكيل التي حدثت للمجريين أن تعاطفت معهم شرائح السياسيين والمثقفين فى الإمبراطورية البريطانية إلى الدرجة التي دفعتها لدخول ما يعرف بحرب القوم وكان من نتائج ذلك أيضاً حصول تحول هام فى قلب الإمبراطورية النمساوية إذ بدأ الألمان يطرحون فكرة فصل النمسا الألمانية عن الألمان وفكرة فصل التشيك والكروات والمجريين والرومانيين وبعد مصادمات عنيفة ومؤامرات وثورات وانتفاضات وقلاقل ومنافسة شديدة بين النمسا (الألمانية) وألمانيا (البروسية) ظهر (اوتو فون بسمارك) الشهير ، وهو أحد أعضاء برلمان بروسيا أحد أقاليم الإمبراطورية النمساوية، والذي يتمتع بقوة بدنية وهو خطير وسياسي حازم وشخصية شعبية محبوبة وقام بقيادة الجناح المنادى باستقلال ألمانيا عن النمسا، واشتعلت المنافسة بين النمسا وبروسيا من جديد، تلك المنافسة التي تعود إلى عهد الإمبراطورية (ماريا تريزا) حين سلب فردريك الثانى ملك بروسيا منطقة سيليزيا من النمسا عام ١٧٤٠ وتوجت المنافسة بمعركة (سادو) سنة ١٨٦٦ حين سحق الألمان النمساويين ، وبذلك تفكك كيان الإمبراطورية النمساوية التي حكمت الإيطاليين والمجريين الكروات والرومان ، والتشيك والألمان والبلغار والبولنديين ، وما أن حلت سنة ١٨٦٦ حتى كانت ألمانيا قد انفصلت عن النمسا



عقب معركة (سادو) التي هزم فيها الجيش النمساوي ، وتم إبرام معاهدة صلح وتفاهم ، وعلى الجانب الآخر فلم يأت عام ١٨٧٦ إلا وكانت إيطاليا قد أخذت استقلالها الكامل بعد حروب مريرة واتجهت الأقاليم الإيطالية بعدها للتوحد تحت راية (غاريبالدى) مؤسس الدولة الإيطالية الواحدة .

ولقد سارت الأمور بعد ذلك فى شكل تقليدي إذ قويت الدولة البروسية بقيادة (بسمارك) ووقعت اتفاقيات صلح مع النمسا ألحقت هزيمة بفرنسا بينما استقلت إيطاليا وتراجعت المطامع الفرنسية فيها وبسبب تبدل موازين القوى تم عقد صلح بين النمسا والإمبراطورية الروسية ، والتئم لقاء قمة ثلاثي في برلين عام ١٨٧٢ بين إمبراطور النمسا وبروسيا وروسيا وتعاهدوا على الحفاظ على الوضع فى أوروبا على حاله .

ولقد كان الوضع بين عناصر الإمبراطورية النمساوية مقلقاً ، إذ أنه بعد الهزيمة التي عانت منها بسبب فقدانها لإيطاليا والمناطق التي تشكل الآن دولة ألمانيا الواحدة وقيام بروسيا المستقلة ومغامرات فرنسا واستفزازات روسيا وتركيا ظهرت بوادر جديدة تدعو للخوف فقد ساء الموقف الداخلي للإمبراطورية النمساوية بسبب الكراهية والعنصرية بين القوميات المختلفة الخاضعة لسيطرتها ، وبسبب قسوة النمساويين فى قمع الثورة المجرية والتشيكية عامى ١٨٤٢ و١٨٤٩م وما اعقب ذلك من شيوع اسلوب التنكيل والملاحقة والعقاب الشديد فقد سادت تقاليد القمع والبطش واصبح الجنس النمساوي هو أساس الإمبراطورية النمساوية وتولى مراكز القيادة فيها ، وتولى دواوين السلطة فى المجر وتولي صلاحيات الحكم ومناصب قيادات الجيش والشرطة ومأموري الضرائب ، وابعدوا السكان المحليين مما أجج العداوة والكراهية ضد كل ما هو نمساوي لذلك فما أن اندلعت الحرب بين الولايات الإيطالية والنمسا



فى عام ١٨٦٩ حتى تصدع هيكل الإمبراطورية النمساوية وفقدت هيبتها تماماً وازدادت شماتة المجريين والصرب والتشيك ضد النمسا وأخفقت محاولات الإصلاح وبناء الثقة ، ولم تنفع محاولات إمبراطور النمسا (فرنسيس يوسف) التي قام بها بنفسه حين ذهب إلى بودابست عام ١٨٦٥ وجولته فى كرواتيا ، لم تنفع النمسا فى وقف انهيار الإمبراطورية .. وفى سنة ١٨٦٦ كان الزعيم المجرى (دياك) صاحب الشخصية الكاريزمية ، والاراء المنطقية والحكمة وقوة الحجة يقود شعبه من أجل النصر ولو بالتدريج كان شخصاً قومياً يؤمن بالأمة المجرية وبحريتها ، لكنه كان سياسياً داهية فهو يؤمن باستغلال الفرص ، وعندما منى الجيش الإمبراطوري النمساوي بهزيمة منزلة فى موقعة (سادوا) عرض على الإمبراطور النمساوي إقامة أسس ملكية ثنائية تم إنجازها بالفعل عام ١٨٦٧م وبمقتضى هذه الاتفاقية تم إعلان قيام (الإمبراطورية النمساوية المجرية) وإنهما تتألفان من دولتين مستقلتين ، وعلى قدم المساواة وفقاً للدستور ويحكمها إمبراطور واحد هو (إمبراطور النمسا وملك المجر) على أن تعطى المجر مساحات واسعة من الإمبراطورية (انظر الخارطة المرفقة) ، وفى يونيو عام ١٨٦٧ توج الإمبراطور في أحد أديرة بودابست إمبراطورا ومالكا على الدولة الجديدة التي تسمى (إمبراطورية النمسا وهنغاريا) ولقد ظلت هذه المعاهدة سارية المفعول إلى عام ١٩١٨ ويعزى المؤرخون استمرارها إلى عنصرين .

الأول : أنها قامت على قدم المساواة فى السلطة فى الإقليمين مما سبب لها الاستمرارية . والثاني : أن العنصر الألماني في مقاطعات النمسا السبع عشرة آنذاك كان هو المتفوق عددياً ويشكل الأغلبية ، فيما شكل المجريون الأغلبية فى إقاليم ترنساليتانيا والتي كانت تضم المجر وكرواتيا وسلوفينا وترنسلفانيا واجزاء من الأراضي الأوكرانية حالياً، حيث كانت لهم السيادة فيها ، وبهذه المعاهدة

الغربية وجد المجريون أنفسهم لأول مرة كأمة تستعمر أطراف جديدة من البلدان المجاورة ، ووجدت المجر نفسها مضطرة لدفع ثمن باهظ لتاريخ لم تصنعه لنفسها ، حين تطلب الأمر الدخول فى صراع مع القوميات الأخرى ، فقد اضطرت للدخول فى مواجهة ساخنة مع تلك القوميات المتعددة وتبدلت المواقع فأصبح حلفاء الأمس من التشيك والسلوفاك والكروات والصرب أصبحوا أعداء، ودخلت أيضاً طرفاً جديداً فى ما عرف بحرب القرم والتي كانت آنداك حرب كونية مصغرة بين الأتراك والروس والنمساويين والفرنسيين ، وكان الوقت حينها مشحوناً بأفكار نهضة الأمة السلافية التي تضم الصرب والروس والتشيك والبلغار وتم رفع شعار تحرير البلقان من السيطرة التركية ، وإقامة الأمة السلافية ، وحين انتهت الحقبة التركية وهزم الجيش التركي اشتعلت حرب جديدة كان طرفاها هذه المرة الصرب والبلغار .. فالبلغار الذين دعمتهم روسيا وأسست لهم دولة قوية كأساس للدولة السلافية لا يتمتعون بثقة الشعوب المجاورة ، فبلغاريا التي استقلت عام ١٨٧٢ انقلبت على روسيا ، واضطهدت جيرانها ، واشتعلت نيران الثورات فى المنطقة إذ ضربت حمى معاداة الأتراك كل مناطق البلقان فمن البوسنة إلى الجبل الأسود ومن بلغاريا إلى صربيا حيث تأججت مظاهر القومية السلافية التي حشدت ورائها الشعوب لمواجهة القومية التركية والجيش التركي .

وواجهت تركيا هذه الثورات بوحشية وبربرية وارتكب جنودها المجازر البشعة بطريقة أدت إلى دخول روسيا الحرب ضد تركيا فى إبريل عام ١٨٧٧ وأمام هزائم تركيا اضطر قادتها إلى توقيع معاهدة (سان ستيفانو) عام ١٨٧٨ التي أعطت روسيا دوراً مهماً فى أوروبا ، لكن الإمبراطورية الإنجليزية لم تقبل ذلك ، واستغلت ضعف الأساطيل الروسية ، وقامت بإعادة صياغة بنود الاتفاق والمعاهدة الروسية التركية فى معاهدة جديدة وقعت فى نفس العام ١٨٧٨ بشكل

لا يعطى روسيا أية مكاسب تذكر بل أن المعاهدة الجديد قدمت لإنجلترا والنمسا وبروسيا مزايا ومكاسب كبيرة وهو ما فسره الإمبراطور الروسي آنذاك على أنه تحالف أوروبي جديد ضد روسيا .

وبسبب تطورات حروب البلقان والصراع الدامي فيها وجد النمساويون أنفسهم أمام ضرورة ملحة للتحالف مع الألمان في مواجهة هذه التطورات خصوصاً لجهة الخوف من روسيا وبالفعل فقد تم تحالف وقع عام ١٨٧٩ وانضمت إليه إيطاليا الحديثة بعد ثلاث سنوات (سمى بالتحالف الثلاثي) والحقيقة فإن هذا الحلف كان موجهاً أساسا ضد روسيا وازدادت الروابط قوة بين ألمانيا والنمسا بشكل جعل ألمانيا تضع نصب أعينها أن الاتحاد الوثيق بينهما هو الضمان الوحيد الكفيل بتحطيم أية محاولة لحصار أو محاربة ألمانيا وخصوصا من قبل روسيا أو فرنسا عدوتي ألمانيا التاريخيتين .

ونظراً للتقارب الذى حدث بين روسيا وإنجلترا والعلاقة التي قامت بين تركيا وفرنسا شعرت ألمانيا بأنها معنية بهذه التطورات ، ولذلك انتابها القلق من هذا التطويق .. لقد حدثت تطورات عديدة فى الفترة اللاحقة فقد تبدلت خارطة البلقان ، إذ تم إعادة ترسيم لبلغاريا مدعومة من الروس أعيدت مقدونيا إلى تركيا أعطيت النمسا مهمة إدارة إقليم البوسنة والهرسك وظلت صربيا تحت السيطرة التركية ، بينما احتفظت المجر الكبرى بحدودها ، ولقد قامت النمسا بالمشاركة فى هذا الترسيم الجديد للحدود بمعزل عن ألمانيا مما أزم الوضع في أوروبا كلها وجعلها على حافة الحرب بشكل دائم . وأمام هذه التطورات وجدت النمسا نفسها فى مأزق مستمر فقد منيت بضربات عديدة وفقدت إيطاليا والدنمارك وخسرت ألمانيا وأخيراً وجدت نفسها مقسمة بين دولتين (النمسا



والمجر) ووجد الإمبراطور (فرنسيس يوسف) نفسه جامداً أمام هذه الحالة الميئوسة .

ولما كانت الإمبراطورية النمساوية - المجرية خليطاً من الأجناس وكانت تضم ملايين التشيك والبولنديين والصرب والكروات والرومان والسلوفيين والبلغار والسلوفاك ، فإنها كانت مهددة بلهيب التمرد والعصيان في أية لحظة ، لقد كانت إمبراطورية النمسا مرتبطة فى السابق بجيش قوى واحد مركزي القيادة لكن مع تقسيم الجيش بين النمسا والمجر فقدت الإمبراطورية عمودها الفقري الذى يسندها ، ولأن المعاهدة بين المجر والنمسا تنص وفق الاتفاق على إعادة النظر فيها كل عشر سنوات فقد تزايدت المشاعر القومية للمجر فى مقابل تزايد المشاعر القومية للرومان والصرب والكروات والسلوفاك ضد المجريين ، لقد فشلت كل محاولات الاندماج القومي وإذابة الحواجز بين النمساويين والمجريين ، وبالمقابل فشلت نفس المحاولات بينهم وبين القوميات الأولى وظلت القومية هي العامل الذى يحرك التاريخ وهكذا نمت حركات انفصالية وظهرت مطالب بالاستقلال وقامت أحزاب وحركات تطالب بالحرية الكاملة لكل تلك الأقاليم الخاضعة لسيطرة الإمبراطورية النمساوية المجرية وكان ما يثير قلق هذه الإمبراطورية هو الأطماع الصربية في تحقيق حلم الدولة السلافية مع الكروات ذلك الحلم الذي يحفظ للأمة السلافية حقها أمام الآخرين وكان الصرب والكروات لا يألون جهداً فى ترجمة مشاعر العداء للمجر ، لذلك كانت النمسا تنظر إلى الصرب على أساس أنهم مشروع حرب قادمة وعدم استقرار فى مناطق سلطتها ، ثم تطورت الأحداث الدولية، ففي عام ١٩٠٩ حدثت ثورة عنيفة فى تركيا أزاحت حكم السلطان عبد الحميد الثانى وأعلنت قيام الدولة التركية الحديثة وبسبب انشغال الحكام الجدد بالأمور الداخلية ، وإزاء تلك



التطورات وجد الأتراك أنفسهم أمام ثورات جديدة فى البلقان وحروب خاسرة فقد فقدوا صربيا وبلغاريا واليونان وخسروا أراضيهم التي كـانوا يسيطرون عليها فى الدول الأوروبية ، وخلال أشهر قليلة جداً وجدت تركيا نفسـها فـى حجمها التركي وتم إعلان دولة صربيا وتحرير اليونان .. وفيما سعت النمسـا لمنع صربيا من الحصول على منفذ على البحـر الادرياتيكى تفـهمت ألمانيـا وروسيا مطالبها وتم إعلان دولة ألبانيا .

وخرجت بلغاريا واليونان وصربيا مـن هـذه المعـارك بأكـاليل الغـار والانتصار على الأتراك الذين تراجعوا إلى حدود استنبول الحالية .

وكان المجريون والنمساويون يراقبون هذه التطورات المفاجئة بذهول شديد وأمام جوع الصرب للم شمل الأمة الصربية في كوسوفو والبوسـنة والهرسك وكرواتيا كان الخوف من تكوين مملكة صربية كبيرة يؤازرها الروس يثير ذعر الجيران وخاصة النمسا وإيطاليا والمجر ، ومع ذلك فقد شعر العالم بقليل مـن الاستقرار والرفاهية بسبب تطورات الصناعة وازدهار التجارة .. لقد صنعت الثورة الصناعية فى أوروبا وأمريكا عهداً جديداً مع بداية القرن العشرين .

لحظة الاغتيال القاتلة والحرب العـالمية الأولى

لو لا حادثة اغتيال ارشيدوق النمسا (فرديناند) وريث العـرش وزوجتـه خلال زيارته الرسمية لأقليم البوسنة بدعوة من حاكمها لاستمرت تلـك الفـترة والعالم يشعر بنشوة التطورات العلمية كالسينما والسيارة والراديـو والدراجـة والتلغراف والقطار والطائرة ، لكن هذا العمل الإجرامي دق طبـول الحـرب خصوصا وان النمسا كانت تشعر بالحنق والغضب تجاه صربيا .

لقد كانت النمسا تريد تأديب الصرب ، وها هي الأقدار تقدم لـها المـبرر فانتهزت موجة السخط التي أثارها حادث الاغتيـال البشـع وقـامت بتصفيـة حساباتها مع الصرب وألقت قنابلها على بلغراد .

والغريب أن تلك المغامرة النمساوية والتي صنعتها (لحظة الاغتيال) كـانت لها صور مختلفة عند أغلب دول المنطقة .

فألمانيا كانت تريد احتلال مستعمرات لها وإعلان نفسها كقوة دولية جديدة ، والنمسا كانت تريد إذلال الصرب ، وروسيا كانت تريد مضيق البسفور وتحطيم تركيا ، وصربيا كانت تريد توسيع رقعتها ، وإيطاليا كانت تريد ضـم أقـاليم تريستا وترنتو إليها ، ورومانيا كانت عينها على ترنسلفانيا المجريـة ومنطقـة بشاربيا على الحدود مع أكرانيا الحالية وحين اندلعت الحرب واجتاحت الجيـوش النمساوية مناطق الصرب لم يخطر ببال أحد أن تنجر كل الدول لها .

فقد اجتاحت القوات الألمانية التي أعلنت تحالفها مع النمسا الحدود البلجيكية والفرنسية غرباً ، واشتبكت مع الجيش الروسي شرقاً ودخلت بريطانيا الحـرب إلى جانب فرنسا ، ودخلت روسيا إلى جانب فرنسا ، ودخلت تركيا إلى جـانب

ألمانيا ومعها بلغاريا التي هاجمت صربيا ودخلت المجر مع النمسا ودخلت إيطاليا إلى جانب فرنسا ، وعكس خطط النمسا التي أرادت للحرب جولة قصيرة فقد طال أمدها ، أصبحت كارثة إنسانية بشعة .. وبسبب القوة البشرية والإمدادات الغربية إلى روسيا تراجعت الجيوش الألمانية وأمام تقدم الروس أعلنت رومانيا الحرب على الامبراطورية (النمساوية المجرية) وأمام ذلك دخلت القوات الألمانية بوخارست .

لكن بسبب الأساطيل الحليفة والإنجليزية والحصار المضروب على ألمانيا والنمسا لم تحقق النصر المطلوب ، وفى عام ١٩١٧ حصلت حادثتان هامتان فى التاريخ :

الأولى دخول الولايات المتحدة الحرب إلى جانب فرنسا وإنجلترا .

والثانية قيام الثورة الروسية التي تسببت في تخفيف الضغط على ألمانيا والنمسا .

ومع تدفق الجيوش الأمريكية . والمساعدات والحصار البحري القوى دب اليأس فى نفوس الألمان والنمساويين وحلفائهم ، وأمام الخسائر الفادحة وتقدم الجيوش الحليفة على الجبهة الغربية انفراط عقد ألمانيا والنمسا والمجر وبلغاريا وتركيا وبدأ ذلك بطلب بلغاريا الصلح مع الحلفاء ثم تبعتها تركيا ثم النمسا بعد أن تكبدت خسائر جسيمة وأخيراً وقع اتفاق إنهاء الحرب حيث كانت المجر أحد اللذين دفعوا ثمن الحرب التي لم يصنعوها ، وفي هذا الكتاب صورة للأربعة المنتصرين في تلك الحرب خلال توقيع معاهدة فرساى بفرنسا .



الموقعون على معاهدة (فرساى) الشهيرة

فى سنة ١٩١٩ بباريس

جورج لويد - بريطانيا   أورلانـد - إيطاليا

كليمنصو - فرنسا   وودرو ولسون - امريكا

من نتائج الحرب العالمية الأولى
(تريـــانـــون)

كان من أهم النتائج التي أفرزتها الحرب الكونية الأولى فى أوروبا اختفاء أسرة (آل هابسبرج) الشهيرة فى النمسا والمجر واسرة (الهوهنزلرن) فى ألمانيا واسرة (رومانوف) فى روسيا واسرة (آل عثمان) في تركيا . وتحولت روسيا إلى النظام الشيوعي ، وتحولت تركيا إلى النظام العلمانى ، وتحولت النمسا والمجر إلى دول مستقلة حيث انفصلت المجر عن النمسا .

وتحولت ألمانيا إلى دولة خاضعة لشروط المنتصر ، حيث أقرت بهزيمتها وأعربت عن استعدادها لدفع تعويضات، وقبول بنود الصلح المجحفة فى حقها، حيث تنازلت عن السيادة على أجزاء كبيرة من أراضيها لصالح فرنسا وبولندا، وأعلنت عن قبولها كل المطالب التي وجهت إليها بما فى ذلك تحديد عدد جنودها والامتناع عن تصنيع الأسلحة والطيران والقبول بالأمر الواقع الجديد، وكان من نتائج تلك الحرب أيضا أن عقد المنتصرون معاهدات مع البلدان الضالعة فى الحرب إلى جانب النمسا وألمانيا ، ولما كانت المجر هي أحد طرفي الإمبراطورية النمساوية المجرية فقد كان عليها أن تدفع ثمناً باهظاً لتلك النتائج، فقد وقعت معاهدة (تريانون) فى ١٨ يونيه ١٩٢٠م بين المجر والحلفاء ترتب عليها خسارة المجر لإقليم سلوفينيا الذى ضم إلى يوغسلافيا (وحصلت أخيراً على استقلالها) وتم استقطاع إقليم (ترنسلفانيا) من المجر وضمه إلى رومانيا كذلك ضم إقليم سلوفاكيا إلى دولة التشيك .



أما النمسا فقد تقلصت مساحتها إلى النصف وسكانها إلى الثلث .

وبذلك تقلصت مساحة المجر نتيجة لهذه المعاهدة ووزعت ارضها على كل من (يوغسلافيا ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا) آنذاك ، وانضم جزء آخر إلى النمسا وتم حرمانها من الميناء الوحيد الذى كانت تطل من خلاله على البحر وهو ميناء (فيوم) فأصبحت دولة مغلقة وتقلصت مساحتها من ١٢٥ ألف ميل مربع إلى ٣٥ ألف ميل مربع فقط (انظر الخرائط المرفقة) .



ضريبة بالإكراه وظلم تاريخي

كان من نتائج تلك الحرب اختفاء الإمبراطورية النمساوية المجرية وتوقيع معاهدة (سان جرمان) سنة ١٩١٩م ، ومعاهدة فرساي الشهيرة (مرفق صورة للموقعين عليها) .

فقد ظهرت دولة تشيكوسلوفاكيا على أنقاض تلك الإمبراطورية وانفصل التشيك والسلوفاك واقتطع الصرب أراضي جديدة وكذلك الرومان ودفعت المجر ثمناً غالياً لحرب ليست سبباً فيها من الرجال والأموال ، وجعلها التحالف مع النمسا تتحمل خسارة كبيرة ليست في الحسبان ورتب عليها دفع تعويضات باهظة للحلفاء وتم نزع أراضي واسعة من السيادة المجرية وتقديمها على سبيل التعويض للدول المجاورة ، لكن العزاء في ذلك أنها أقل الدول تعرضاً للإهانة بسبب معاهدة فرساي التي فرضت على ألمانيا والنمسا قيوداً لا تطاق ، لكن أهم إنجاز للمجر هو أنها اكتشفت أنها بدون حلفاء صادقين ، وأن عليها أن تواجه المستقبل بإمكانياتها الذاتية ، إن أسوأ نتائج تلك الحرب كان ما يتعلق بالثمن الذي توجب على المجر أن تدفعه فقد فرضت معاهدة (تريانون) الموقعة في ١٩٢٠/٦/٤ إعادة تخريط المنطقة حسب إرادة المنتصر ، ونزعت من المجر منطقة سلوفاكيا التي ضمت إلى تشيكوسلوفاكيا كما استقطعت ولاية (ترنسلفانيا) وضمت إلى رومانيا ، وكذلك استقطعت ولاية كرواتيا التي قدمت إلى صربيا كجزء من يوغسلافيا ولم يتم استقطاع الأرض فقط بل تم استقطاع البشر كذلك، فقد تحول عدة ملايين من المجريين إلى رعايا لدول أجنبية في أراضيهم بسبب هذه المعاهدة ، وتحولوا إلى أقليات في أرضهم .





وتقول مصادر تاريخية ، إن عدد المجريين الذين اجبروا على العيش في بلدان مجاورة ، أو ضموا إلى الدول الجديدة ، تجاوز أكثر من ثلاثة ملايين نسمة ، حسب إحصائيات عام ١٩٢٠ .

لقد تعرضت المجر إلى عملية تقطيع وإبادة بشرية ، وجغرافية ، وتحولت من بلد كبير له شأن وتقاليد ارستقراطية زاهية ، إلى بلد صغير يشعر بالغبن ، وكان أقسى خسارة هي فقدان إقليم ترنسلفانيا الغني بطبيعته وهضابه الرائعة وأراضيه الجميلة والذي هو امتداد لجغرافيا المجر ، وبدأت منذ ذلك الوقت جذور المشكلة الراهنة ، وتحول المجريون أصحاب الأرض إلى أقلية في أرضهم وغرباء في وطنهم ، لقد التهت أوروبا بعد الحرب الأولى في مشاكلها ولم يأبه أحد بمعاناة السكان ، أولئك الذين اجبروا على التحول إلى أقليات، وبسبب التحولات الخطيرة في روسيا التي أصبحت شيوعية وانشغال ألمانيا بإعادة البناء وفرنسا بذاتها ، وبمستعمراتها وإيطاليا بتحديث منظوماتها وبمشاكلها الداخلية وحروبها العدوانية في ليبيا والصومال والحبشة والنمسا التي انكفأت على نفسها ، وانشغال تركيا بالتحولات الهامة فيها ، وانشغال أمريكا بميراث الإمبراطوريتين الفرنسية والإنجليزية كانت مشاكل الأقليات الجديدة غير ذات أهمية من وجهة نظر ساسة العالم آنذاك ، وتم تجاهلها بشكل كامل، فانتهكت الحقوق ، وحوصرت الثقافات ، وحوربت الروابط القومية ، وتم فرض أنماط جديدة من الحياة على هؤلاء السكان سيئي الحظ ، الذين خذلتهم الجغرافيا والأمة والتاريخ ، ونتيجة لتسارع الأحداث بعد ذلك ، ووقوع ما عرف بالكساد الكبير في أواخر العشرينات ، من القرن العشرين ، وما صاحبه من هزات عنيفة في أوروبا كانت من نتيجتها ظهور الفاشية في إيطاليا والنازية في ألمانيا، وبسبب اصطدام المصالح وبروز الأحقاد التاريخية ، وجنون القوة عادت



أوروبا من جديد إلى ساحة الوغى ، واستطاع هتلر أن يذكي نــار العنصرية والتطرف ويشعل الحرب ، بعد أن أبرم تحالف سمي (بالمحور) مــع إيطاليا واليابان ففي الوقت الذي كانت فيه جيوش إيطاليا تحتل ليبيا والصومال ، وتستعد لغزو اليونان كانت الجيوش الألمانية تنقض على فرنسا وبلجيكا وبولندا والمجر ورومانيا وتقاتل في الأراضي الروسية ، وكان اليابانيون يحتلون منشوريا والصين وكوريا ، و جنوب شرق آسيا .. لقد أشعلوا حربا كونية ثانية جلبت الدمار والخراب على العالم وأرهقت الإنسانية ، وبنهاية تلك الحرب فــي عام ١٩٤٥ واستسلام ألمانيا كانت الخارطة السياسية لأوروبا قد ترسمت وأصبحت المطالبة بإعادة تخريط المنطقة ضربا من المستحيل خصوصا في ظــل نتائج الحرب العالمية الثانية التي قدمت روسيا الشيوعية كإمبراطورية جديدة ، بسطت سلطتها على كامل شرق أوروبا وقسمت ألمانيا .

لقد طالب المجريون مراراً وتكراراً بعودة تلك الأرض السليبة لكن دعواتهم كانت تذهب أدراج الرياح ، فهدير عواصف التاريخ الأوروبي أقوى من أن تسمع تلك المطالب . ففي مؤتمر عقد بباريس عام ١٩٤٧ تم إقرار معاهدة تنص على اعتبار حدود ١٩٣٢ أي ما قبل الحرب هي الحدود الدولية ، وتكرســت بذلك مشكلة الأقليات في وسط أوروبا كما فرض عل بلغاريا ورومانيا والمجر دفــع تعويضات للدول المنتصرة وكان ذلك غبن تاريخي جديد يضاف إلى المعانــاة السابقة .



هتلــر ونفط رومانيـــا

حين اندلعت الحرب العالمية الثانية كانت منطقة وسط أوروبا تعج بالمشاكل وكانت تلك المشاكل بين النمسا والصرب وبين المجر ورومانيا وبيــن البلغــار والصرب والسلوفاك والكروات وكــانت المســألة تــدور حــول ترنســلفانيا ، وبوكرفانيا ، وبيشاربيا ، ودوبروجا ، وكوسوفو ، ومقدونيا ، وغيرها .. كــانت المنطقة متخمة بالعقبات والصراعات ، وكانت عين هتلر على نفط رومانيا سيما وأنه قرر دخول الحرب ضد روسيا ، لذلك دخل هتلر القوى عام ١٩٤٠ علــى خط تلك المشاكل وجمع الدول المتناحرة تحت قبعة جنــوده وجنــازير دباباتــه وأرغم الدولتان رومانيا والمجر على الصلح عن طريق التفــاوض ، وعندمــا فشلت تلك المفاوضات التجأ الطرفان للقوة ، وبعدها عقدوا اجتماعات فى مدينــة (فيينا) حيث تم ابرام (حل وسط) استغل هتلر في حشد أكبر حلفــاء لــه فــى مواجهة الروس ، وقررت الدولتان طوعا الاعتراف بحق المجــر فــى إقليــم ترنسلفانيا ولكن بهزيمة ألمانيا اعتبر غلاة الرومان أن تلك هزيمــة للمجــر ، ويجب أن تدفع الثمن وهو اقتطاع الإقليم نهائياً ، وأقر الروس ذلك واعتــبروه أمراً واقعا ، وقام الروس بالمساعدة فى إعادة التوزيع السكاني للإقليم مستعينين بخبرتهم الجهنمية فى سحق وتشريد وتــهجير الملاييــن مــن ســكان روسـيا والجمهوريات السوفيتية، وقاموا بنشر تعاليم الماركسية اللينينيــة التــي تــهجر القومية وتدعو للبروليتاريا والعالمية ، حيث دخلت المشكلة فى بيات أيديولوجـي تحميه الحراب الروسية من جديد ، وتم تطبيق النموذج الشيوعي فــي الســلطة وفى التعامل مع المشاكل كالاقليات والدين والملكية وغيرهــا . وتــم اســتخدام



المصطلحات الشيوعية فى التعامل مع الناس وهو ما جعل الناس تتعلق بالوهم وتحلق عالياً بعقولها بينما هي في الحقيقة غارقة فى الأوحال إلى أذنيها .

ولعل التطور الوحيد والهام الذى حدث فى المنطقة هو ما ظهر أبان السبعينات من الاعتراف بحق الآليات في استخدام لغتها وتقاليدها الخاصة وحقها فى القراءة والمطالعة بحرية وهى حقوق تعكس إلى أى مدى كانت الحرية مهانة والإنسانية مقموعة فى تلك الأقاليم .

ولنر الآن كيف تعرضت المجر إلى المؤامرة المستمرة ضدها في كل العصور الحديثة ، ذلك أن اقتطاع أجزاء من المجر وإلحاقها بسلوفاكيا واقتطاع أجزاء أخرى وإلحاقها برومانيا ممثلة في إقليم ترنسلفانيا جعل من الظلم التاريخي قاعدة ثابتة، ولقد (زاد الطين بلة) أن إعلان عودة إقليم ترنسلفانيا للمجر بعد عام ١٩٤٠ كان تكتيكاً (نازياً) لخلط الأوراق السياسية في المنطقة، وكان بالفعل القشة التي قصمت ظهر البعير ، بحيث أن أية ادعاءات أخرى أو مطالب واضحة بالحق في عودة الإقليم إلى أمته سيكون من السهل الربط بينها وبين الحرب العالمية الثانية والسلوك النازي وبذلك يكون مجريو ترنسلفانيا قد دفعوا الثمن ثلاث مرات عبر التاريخ الحديث ، مرة حين قسمت المنطقة على أنقاض انهيار الإمبراطوريات النمساوية والتركية والروسية ، وحين أراد العالم أن يتنفس الصعداء ويجنح للأمر الواقع والسلام عقب الحرب الكونية الأول ، ومرة حين توسعت ألمانيا النازية واحتلت أوروبا وإعادة تخريط المنطقة ورسم الحدود السياسية من جديد ، ومرة حين أصبحت أوروبا الشرقية في قبضة الجيش الأحمر الروسي الذى حمل رداء الشيوعيين ، وألقاه على شرق أوروبا ، مثبتاً بذلك الحدود القائمة ، والأوضاع التي سبقته ، صانعاً على مدى خمسة وأربعين سنة مشروعية دولية لخريطة المنطقة .

إن صعوبة فك هذه المعضلة ، يعود أساسا لصعوبة تركيبها من البداية ، فلا أحد يريد أن يرى المجر وقد استعادت أرضها وعادت الأقليات المجرية، التي تقطن أطراف الحدود إلى وطنها وعادت الدولة الكبرى ذات التاريخ إلى دورها الطبيعي في وسط أوروبا .

إن المشكلة ليست مشكلة أقلية فحسب ، ذلك أن العالم يئن تحت وطأة مشاكل أكثر من ٢٣٠ أقلية حسب (أحدث موسوعة عن الأقليات في العالم) التي قام بها (تيد روبرت جار) ، ولكن المشكلة جوهرها ضياع الحق واقتطاع جزء من دولة بشعبه وتراثه وتقاليده ومعالمه الحضارية وإمكانياته وجغرافيته وبشره وضمه إلى دولة أخرى وقومية أخرى وأمة لا علاقة لها بالإقليم سوى علاقة الجوار وهي حالة يمكن أن تحصل في أي وقت إذا لم تواجه الحل ، إن هذا الحدث يعد حالة غير عادلة فى الأعراف الإنسانية ، والحقيقة فإن مأساة المجر ككل أنها بلد دفع ثمن تهور إمبراطورية آل هابسبرج ودفع ثمن حقد وكراهية تلك الشعوب آلتي رزحت سنين طويلة تحت سنابك خيل النمساويين الشجعان، فالمجر آلتي كانت دولة بحرية كبيرة ولم يعرف عنها عداءها لجيرانها ولا تحمل فى تاريخها أية مشاعر للكراهية أو العنصرية للغير وآلتي هى حمامة وسط صقور وسط أوروبا فقدت هذه الدولة مساحات شاسعة من أرضها وشعبها وتحولت من دولة مطلة على البحر الأدرياتيكى إلى دولة مغلقة وهى خسارة فادحة لا تقدر بثمن للأجيال .

ثمن الحرب والسلام : (لعنة التاريخ)

لقد ورث إقليم ترنسلفانيا لعنة التاريخ والجغرافيا ، فقد كان على مر التاريخ الحد الفاصل بين المتحاربين صناع التاريخ ، ولقد كان يمثل الحدود المتحركة التي كانت تفصل بين الإمبراطورية العثمانية والإمبراطورية الروسية وإمبراطورية هابسبرج ، لذلك كان بؤرة للثورات والنزاعات والمعارك والأطماع ، وهو اي الإقليم ، لم يكن بعيداً عن التوترات فبالقرب منه اندلعت حربان عالميتان ، وعليه جرت معارك ضخمة وكر وفر اشتركت فيها كل القوميات ، لذلك كان على الإقليم أن يدفع ثمن الحرب وثمن السلام ، وثمن للا حرب واللاسلام ، لقد كان التعصب هو اللغة السائدة حتى في لحظات الهدوء التي كانت تمثلها تلك الحالة ، ورغم المزاعم الرومانية حول حقوق الإنسان وكرامته في الإقليم ، إلا أن وضع الإقليم لا يدعو للتفاؤل فانتهاك حقوق الإنسان وعدم احترامهم كأقلية استثنائية في وطنهم أرخى بظلال من اليأس على مشاعر سكان الإقليم .

وبينما يعتقد البعض أن الخيار الوحيد لازدهار الإقليم وتفاؤل سكانه هو في الاعتراف المطلق بالحقوق المشروعة لهم ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً وسياسياً. يرى البعض الآخر أن الخيار المثالي هو ممارسة حقيقة للديمقراطية بما يسمح بتولي السكان لمقاليد السلطة الشعبية المباشرة لهم ، ليس بتحقيق الرغبات فقط، بل وفى حرية تقرير المصير ، وطالما أن الخيارات المثالية مفقودة أساساً من حياة العالم فإن المعاناة ستظل قائمة ولفترة طويلة حتى تنجح المنطقة فى انتشال نفسها قبل أن تغرق فى مفاجآت التاريخ المعقدة لأن المنطقة من النوع الذى لا



يحتمل الصبر ، وتاريخياً فالمنطقة مقترنة بالخطورة فى أحداثها ، فهى ليست منطقة أمان وبعيدة عن الجغرافيا المؤثرة ، فهى جزء من أهم مناطق العامل تاريخياً ، والعامل القومي والوطني له تأثيرا حاسم فى الفعل ورد الفعل ، وثمة حقيقة تاريخية لها دلائل هامة وهى أن انبعاث المشاعر الوطنية فى أوروبا يعود إلى أعوام ١٨٨٨ حين بدأت علامات الانهيار المطلق على إمبراطوريات الأتراك وآل هابسبرج النمساوية ، بينما أعيد بعث نفس المشاعر القومية بشكل جديد ، بعد قرن فى سنة ١٩٨٨ وهو ما يعطى دلالة أكيدة على أن العامل القومي لا يموت، وأنه يمكن للقوى المسيطرة أنه تضغطه تحت شعارات أممية وعناوين براقة وأطروحات ملتوية ، لكنها حين تجد فضاء يسمح لها بالظهور فإنها تحلق عالياً معلنة أنها أقوى من الزمن ، وأنها لا تموت ، لقد كتب الفيلسوف المجرى (جورج لوكاش) الذي نقش اسمه كواحد من أهم الأسماء المحترمة كتب يقول : (إن صدمة العقل لا ترجع إلى الممارسات الفاشية والنازية فقط ، بل وتعود أساساً إلى المغالاة في القومية والوطنية) وبالفعل فلقد تعرض العقل الإنساني إلى صدمة كبيرة وهو يشاهد كيف قامت القومية بسحق حقوق الأقليات ، وكيف بسطت الوطنية ردائها الغليظ والثقيل على الجميع في جغرافيتها ، بحيث أنها لم تسمح للآخر بأن يتنفس ، وعليه أن يموت مختنقاً، فالنهوض القومي في أوروبا لم يعلن عن نفسه بالشكل الذى يليق بالعقل الإنسان، بل أعلن عن نفسه فى ثوب أشبه بالفاشية ، سواء لجهة معاملة الأقليات العرقية المستوطنة فى المحيط الجغرافي للقوميات ، أو لجهة الممارسات الثقافية فلا إنسانية التي تحقر الآخر وترفع من شأن الذات ، وتنظر بدونية لكل ما هو خارج إطارها القومي أو العرقي، أو الجغرافي ، إن إثارة المشاعر القومية في سنة ١٨٨٨ وإعادة إثارة نفس المسألة بعد قرن عام ١٩٨٨ يؤكد أن مقولة



الفيلسوف الفرنسي (جين فرانسوا رافيل) بخصوص (إن المشكلات القديمة هي نفس المشكلات الجديدة رغم اختلاف الزمن) هي مقولة حقيقية ، فمشاكل أوروبا قبل قرن هي نفس مشكلاتها الآن ولو بشكل أقل تعقيداً ، لقد جرت حروب البلقان على قاعدة قومية ، وجرت حروب القرم على نفس القاعدة ، والآن جرت حرب البوسنة وقبلها الشيشان وكوسوفو على ذات القاعدة ، إن شيئاً لم يتغير في أوروبا رغم التطور المذهل لما هو آلي وصناعي .

إن أوروبا الجديدة واقعة تحت تأثير نظرية غريبة ، وهي أن الأشياء التي لا تمثل خطراً عليها لا تستحق الاهتمام ، وهذه النظرية تنطبق على حالة إقليم ترنسلفانيا الذي ينظر له الأوربيون على أساس أنه لا يشكل خطراً على أوروبا، رغم أنه في حقيقته يمثل قنبلة موقوتة وجاهزة للانفجار .

إن التعصب والنقاء العرقي ، والملكية ورفض الآخر واعتباره عدواً، والنظر إلى المطالب المشروعة الثقافية والقومية والعرقية على أنها تحريض على الفتنة والخروج على القانون ، إن كل هذا يشكل انتهاكاً لحقوق الإنسان واضطهاداً عرقياً يبرر اللجوء للخيارات الصعبة التي تشكل خطراً على أوروبا، وفي النهاية وتدحض النظرية إياها .

لقد تقلصت أراضي المجر الإقليمية بشكل لا مثيل له عقب هزيمة إمبراطورية آل هابسبرج النمساوية ، وفقدت المجر ثلثي أراضيها ومواطنيها منذ عام ١٩١٤ وحسب اتفاقية تريانون (إحدى ملحقات معاهدة فرساي الشهيرة) فقد تم إعادة ترسيم الحدود واقتسام وسط أوروبا على قاعدة أن العدالة يصنعها المنتصر في الحرب ، إن كل ذلك لم يحرك أوروبا ، لقد قاسى المجريون من هذا التقسيم لأراضيهم ، وتحولوا من مواطنين فوق أراضيهم إلى أقليات في حكم الآخرين ، وقدر لهم أن يعيشوا الظلم والاضطهاد ، كنتيجة لحلول غير عادلة لنزاعات لم يكونوا طرفا فيها .

إن الوضع ينطبق على إقليم ترنسلفانيا وعلى أجزاء من أقاليم سلوفاكيا وسلوفينيا . إن السنوات الطويلة التي انقضت على تنفيذ بنود معاهدة (تريانون) لم تمنع السكان المحرومين من النظر وباستمرار إلى المستقبل بشيء من التفاؤل والأمل ، فهم شديدو الرغبة في إظهار الولاء القومي وتأكيد الهوية الثقافية والعرقية ، وحتى في زمن السلطة السوفيتية التي رفعت شعارات الأممية ووحدة الطبقة العاملة، فإن ذلك لم يمنع الأجيال من تبادل الميراث القومي والحفاظ عليه من أجل أن تسنح فرصة قادمة تحلق فيها أسراب المشاعر القومية من جديد ، فرصة ترى فيها أوروبا المتحضرة الحقيقة بدون تزييف أو تشويش ، لقد عاني إقليم ترنسلفانيا من الفاشية القومية والشوفينية المتفشية في رومانيا ، وبفعل سلوك فيلق (الحرس الحديدي) سيئ السمعة أصبحت الحياة شبيهة بالسجن ، وصار ينظر إلى المطالبة بالهوية المجرية والثقافة المجرية بمثابة الاندفاع نحو الهاوية ، لقد تجبرت تلك الحركة الفاشية في التنكيل بالمطالبين بالهوية القومية المجرية ، من سكان إقليم ترنسلفانيا وذهبت بعيداً في استئسادها على أولئك العزل من الفلاحين والبائسين من المزارعين والرعاة ، وعمال الحقول فكان مجرد الاستماع إلى حوار باللغة المجرية كفيل بدفع ثمن كبير من المعاناة والملاحقة ، لقد طرد شاب من المدرسة في قريته القريبة من ضاحية مدينة (كلوج) بسبب تحدثه باللغة المجرية في المدرسة ، وهذا مثال يعكس إلى أي مدى كانت المعاناة كبيرة ، إنها العذابات الشديدة التي تحدث عنها الكاتب تشيسلاف ميلون حين أشار إلى (أن أوروبا الشرقية ليست سوى موضع مقايضة بين الأعداء) لقد حدثت واقعة (كلمة أحق أريد بها باطل) أثناء الحرب العالمية الثانية ، فخلال المزادات السياسية التي نظمها زعيم الرايخ الألماني هتلر وحليفه الفاشي موسوليني ، أراد الاثنان أن يضفيا على توسعهما وحروبهما





طابع المشروعية ، فقاموا في أغسطس عام ١٩٣٩ بالدعوة ومـن ثـم فـرض اتفاقية في (فيينا) بين المجر ورومانيا اجبروا الأخيرة على إعادة إقليم ترنسلفانيا إلى المجر ، وكانوا بذلك لا يتلاعبون بالحقيقة فقط ، بـل ويستغلونها أسـوأ استغلال ، لقد فعلوا ذلك وهم يدركون أن الإقليم هو للمجر أساساً، لكنـهم لـم يفعلوا ذلك من أجل الحقيقة بل فعلوا ذلك لكي يبدو تصرفهم في نظـر العـالم مبرراً وكانوا بالأساس يسعون لإيجاد مبرر لجر رومانيا للحرب واحتلالها تحت أية حجة ، وللحقيقة فلقد أضروا كثيراً بقضية الإقليم ، لأنه لا أحد يسـتطيع أن يقبل ما يفعله وما يريده النازيون والفاشيون حتى ولو كان صحيحاً ، ولا أحـد بعدهم قادر على سلوك نفس الدرب والتحدث عن نفس المطالبة بإعادة الإقليـم إلى الوطن الأم حتى و لو كان ذلك مشروعا خصوصا خلال الحقبة السـوفيتية التي سادت فيها شعارات معاداة الفاشية ، والنازية .

* * *



الفصل الثالث

الشيوعيون والأقليات

" الأنهــار الجافــة لا تتلقــى
الشكر على ماضيهـا "

طاغور

يشكل التعدد الثقافي والعرقي معضلة خطيرة في دول أوروبا الشرقية، ولأن التنوع العرقي هو مؤشر على عدم الاستقرار ، لأن المطالب القومية سرعان ما تظهر في الأزمات ، فإن خطر نشوب مواجهات يظل مفتوحا دائما كما حدث في يوغسلافيا السابقة أو في دول الاتحاد السوفيتي سابقا ، وللتاريخ فإن المعضلة موروثة أساسا وتعود إلى حقبة الإمبراطوريات الماضية، سواء الرومانية – أو التترية أو العثمانية أو الروسية أو المجرية النمساوية ، أو حتى حقبة نابليون وغزوات ألمانيا النازية ، فقد تم رسم الحدود بعد كل حقبة لا وفق الواقع بل وفق إرادة المنتصر وهو ما شكل بؤرة المشكلة وأساسها . وحتى لا نبتعد كثيرا في تحليل المشكلة فإن أقرب حقبة جديرة بالدراسة هي حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية .

وبذا عاشت شعوب أوروبا الشرقية فترة قاسية وعاشت كابوسا مرعبا تمثل في التناقض بين ما تسمعه وما تراه وما تعيشه ، ففي الجانب النظري كانت تلك الشعوب تصبح وتمسي على شعارات الأممية والشيوعية والأطروحات العالمية التي تتحدث عن السعادة وفائض الإنتاج والعدالة والحرية ، وفي الواقع فهي تعيش تحت سلطة الحزب الواحد الذي يسحق رغبات الجماهير ويقمعها ويزيف إرادتها ، وكانت الأحزاب الشيوعية أكثر الدكتاتوريات قسوة في تعاملها مع الشعوب التي تحكمها ، ومن ثم تم تكريس الجغرافيا وتدجين الشعوب ، وقد استمرت هذه الحقبة أكثر من أربعين سنة في دول شرق أوروبا، وضعف ذلك في روسيا ، إلى أن ظهرت سياسة (البروستورايكا) التي جاءت بها تغيرات الكرملين حيث جعلت حق الاجتماع ، والتطلع القومي ، أمرا مسموحا به، وبالفعل فقد حدث ذلك وظهرت معه الثارات التاريخية ومعها الأحقاد

والطموحات ، فبعد انفصال دول البلطيق الثلاث لاتفيا واستونيا وليتوانيا كان المشهد مفتوحا أمام عملية انفلات قومي مخيف ، وقد ضربت الموجه القومية كل الكيانات ، وباستثناء بلغاريا ورومانيا اللتين مارستا نفس الأسلوب الستاليني في التعامل مع الأقليات ، فقد انفلت العقال .

وهكذا استقلت جمهوريات جديدة هي أكرانيا وبيلاروسيا وأوزبكستان وكازخستان وطاجكستان وقازقستان وتركمنستان وأذربيجان ، وجورجيا وأرمينيا ومولدوفا وليتوانيا ولاتفيا واستونيا واشتعلت نيران الاستقلال في الشيشان ، كما انقسمت جمهورية تشيكوسلوفاكيا إلى تشيك وسلوفاكيا ، وانقسمت يوغسلافيا إلى كرواتيا ومقدونيا والبوسنة والهرسك وسلوفينيا وصربيا (وكوسوفا) وربما الجبل الأسود لاحقا .

أما بقية بلدان أوروبا الشرقية كالمجر وبولندا فتعتبر (بلدان صافية) عرقيا ليست بها اقليات عرقية لتدني نسبة التمايز الثقافي أو التاريخي أو العرقي؛ ولكون شعوبها أمة واحدة .

لقد تجاهلت رومانيا مطالب الاقلية المجرية كبيرة العدد والتي هي في نظر المراقب (سكان أصليين) ولقد سلكت الحكومات الجديدة نفس المنهج القديم في توسيع ودعم سلطة بوخارست على إقليم ترنسلفانيا وإقامة سياسات تضمن أجزاء تحول ديموغراف على المنطقة يحول دون أية إمكانية لاستقلال المنطقة يحول دون أية إمكانية لاستقلال الإقليم أو عودته إلى الوطن الأم .

إن أخطر ما يتعرض له المجريون في رومانيا هو استخدامهم كأوراق سياسية في المفاوضات والتسويات الدائرة بين الدول ، فهم يتعرضون لمعاملة دون المستوى المطلوب من الدولة المسيطرة عليهم ، وفي نفس الوقت يحبطون بتجاهل مطالب انظمامهم للدولة الأم ، فالمجريون في رومانيا يعيشون تحت



رحمة حكومة بوخارست ، وتحت رحمة التناقضات الدولية فى قارة أوروبا، وللأسف الشديد فإن المساومات السياسية ليست بعيدة عن ذهن المراقب وهو يلاحظ كيف أن دخول الأحلاف الجديدة كالناتو أو المنظمات كمنظمة الأمن والتعاون الأوروبى أو غيرها من المنظمات القارية أو الحصول على قروض ومساعدات يتم ربطه بمدى عدم إثارة الماضى أو ما يطلق عليه علماء السياسة (بالعاهات الموروثة فى الجغرافيا السياسية) إن هذا السلوك لا يؤدى إلى العدالة، وإلى مواجهة المشاكل الحقيقية بقدر ما يزيد المشاكل تأزما .

إن الكثير من الملاحظين يتساءلون : هل ستنزلق المنطقة إلى الفوضى ؟ .

وليس محتملا أن تظل الأقلية المجرية الكبيرة فى العدد غير متأثرة بما يجرى حولها ، فاستقلال كرواتيا والبوسنة والهرسك وقبلها مقدونيا ومولدافيا وأرمينيا وعشرات الاقليات يغرى بالمطالبة بالاستقلال والثورة ، كما أن أحداث كوسوفو الألبانية عزز هذه الأسئلة .

إن الأمل قائم فى سيادة روح العقل والمنطق والوعى بأن العنف والقمع ليسا بديلا عن المحبة والتسامح والعودة لمنهج إعطاء كل ذى حق حقه هى الكفيلة بتجنيب البشرية الكثير من المعاناة .

فالثارات القديمة وقود للحقد والحرب ، والتسامح والعقل وطريق للحق والعدل .

فهل يجعل سكان ترنسلفانيا على حقهم فى تقرير المصير والعودة إلى الوطن الأم أم أن منطق (شمشون : على وعلى أعدائى) سيظل هو المفتاح السحرى لفتح بوابة المستقبل !!.



ترنسلفانيا تحت القبعة الحمراء

أدت السياسات الشيوعية فى بلدان (الديمقراطيات الشعبية) إلى سحق التقاليد القومية ، وتفشى الخوف ، وإذلال الطموحات ، وقد انعكس ذلك على سيادة مناخ من اليأس والقنوط والكرب ، وقد تحدث شهود عيان لازالوا أحياء عن ممارسات لا إنسانية إلى درجة جعلت الأفراد يشعرون فيها بالملاحقة فيما لو قاموا بأية مطالب لها علاقة بالمواطنة أو المستقبل ، وكان من مظاهر تلك الحقبة غير المأسوف عليها عدة ظواهر تحولت بمرور الزمن الشيوعى إلى قوانين ثابتة ومنها :

- تحديد إقامة المواطن وعدم انتقاله لأية مدينة أخرى إلا بموافقة الشرطة أو البوليس السرى .
- منع حرية التعبير ، واعتبار أن ما يقال خارج أدبيات الشيوعية الماركسية هو عداء للوطن وثقافة برجوازية يجب قمعها .
- تنميط الفكر وكربنة الرأى ، بحيث ساد نمط واحد من الرأى فى السياسة والاقتصاد والأدب والفن .
- منع الاتصال بين المواطنين والأجانب ، والتحقيق مع أى شخص يثبت أنه تحدث مع أجنبى ، حتى ولو كان سائحا يسأل عن أقرب محطة بنزين أو فندق .
- اعتبار أية مطالب قومية أو إثارة ملامح التاريخ الماضى : اعتبار ذلك عمل خيانى .

ووسط هذا الجو الخانق والمناخ المعادى للإنسان كان من الصعب تخيل إلى أى مدى انتهكت الحقوق وضاعت الأمانى .



ثورة ١٩٥٦ الشهيرة

المتتبع لتاريخ المجر الحديث ، ولأحداث أوروبا المعاصرة ، ولسلوك الأنظمة الشيوعية ، يتوقف دائما عند أحداث ١٩٥٦ فى بودابست ، وهو توقف له ما يبرره ، وللاقتراب من تلك الأحداث لابد من العودة إلى البداية.

حضرت فى بودابست (بساحة الابطال) حفلا شعبيا كبيرا أقيم سنة ١٩٨٩ قيل لى أنه رد اعتبار للراحل (ناجى إمرا) باعتباره أحد قواد انتفاضة الشعب المجرى عام ١٩٥٦ ، وكنت فى بداية سنوات دراستى بالمجر ، ولأننى شغوف بطرح الأسئلة فقد جمعت كلمات لها معانى حول المناسبة . فقد قيل لى (إن المجريين قبل ثلاثين عاما كانوا يطلبون نفس المطالب التى يرفعونها الآن) لقد فقدنا ثلاثين عاما من حياتنا ! هذه هى الخلاصة التى خرجت بها ، بعيدا عن السبب الرئيسى للاحتفال وهو تنظيف سمعة الرجل ورفاقة من تهمة الخيانة وإعادته إلى مكانه الطبيعى فى تاريخ المجر .

لقد لاحظ المراقبون كيف أخذ المثقفون المجريون زمام المبادرة فى الإطاحة بالنظام الشيوعى ويعود ذلك لوعيهم المبكر بعقم الأفكار الشيوعية، سيما وأنهم تعرضوا للقمع والتنكيل بسبب تمسكهم بالقيم القومية والشخصية المستقلة ، ولقد رأى المثقفون المجريون أنهم أولى من غيرهم بالاصطفاف أمام طوابير المطالبين بالحرية منهم ورثة التقاليد التحررية التى بنوها على موقف أسلافهم المثقفين عام ١٩٤٨، ولقد شاهدت فى مقهى (الأنجليكا) الجميل جماعات المثقفين وهى تحتسى القهوة بعد عناء يوم مظاهرات رفعت فيه اللافتات واحتج فيه الجميع على الأوضاع السيئة .



رغم أن الستالينية تأسست أصلا على قاعدة الطبقة العاملة ومصلحة العمال بطريقة أسرت عقول العمال البسطاء وخدرتهم وأعطتهم شعورا مزيفا بالطمأنينة والترقب فى انتظار قطار السعادة الموعود حاملا خيرات فائض القيمة ؛ إلا أنه حدث شيء استثنائى فى المجر ذلك أنه ما إن وقع أول صدام مباشر بين المثقفين المجريين بقيادة ناجى إمرا حتى التحم العمال معهم وتحول الموقف إلى ثورة شاملة لم يجد الجيش السوفيتى أمامه إلا خيار الدبابات ، لقد كانت معارك الشوارع العنيفة إعلانا مكتوبا بالدماء عن رفض النهج البروليتارى فى الحكم وكانت أحداث بودابست عام ١٩٥٦ أول مواجهة حقيقة من نوعها تحدث فى أوروبا الشرقية ، لقد أسس المثقفون والطلاب والعمال فى صيف ١٩٥٦ أسسوا اتحادا وطنيا طالب بالحرية ورد الاعتبار لضحايا ستالين فى المجر، وخلصوا إلى نتيجة مفادها : "إن السلطة الشيوعية لا تحمل أية روح اشتراكية أو ديمقراطية ولكنها نسخة بونابرتية لدكتاتورية الأقلية ، وأهداف هذه السلطة لا تحددها الماركسية ولا الدراسات الاشتراكية العلمية ، ولكن تحددها وجهات نظر البيروقراطية وأعداء الجماهير" .

وحين خرجت الجماهير واحتلت الشوارع فى ٢٤ أكتوبر ١٩٥٦ مطالبين بتأسيس دولة القوانين حتى وجدت الجماهير نفسها أمام رصاص البوليس السرى ، وبسبب صدق المعارك الضارية فى الشوارع ، وعمليات القتل المروعة فتدخل الجيش الروسى يوم ٢٤ أكتوبر ، لكنه أفسح المجال لحلفاءه فى السلطة لإعادة فرض سيطرتهم .

وكان نجم ناجى إمرا قد سطع كمنقذ للمجر، وقام الشيوعيون بالالتفاف على مطالب حركته الجماهيرية وحاولوا تفريغها من محتواها ، وذلك من خلال تقديم وعود وصدور بيان سوفيتى فى ٣٠ أكتوبر يعلن التزام موسكو الشديد



بالمساواة والعدل والاحترام الكامل لسيادة وحقوق بلدان شرق أوروبا ، واعتقد ناجي إمرا ورفاقه أن المناخ قد سنح بتطبيق الشعارات والوعود التى حصل عليها المجريون فقد قام بعد ذلك بيوم واحد بالإعلان عن رغبته فى تأسيس المجتمع المدنى والخروج من حلف وارسو والتحول إلى دولة محايدة ، لقد شكل هذا التحدى غير المسبوق للسوفيت صدمة عنيفة فقرر السوفيت سحق الثورة المجرية فى ٤ نوفمبر ١٩٥٦ وتقدمت الجيوش الروسية لانتزاع الوليد من بطن أمه وإجهاض الثورة .

والغريب أن ناجى إمرا التجأ هو وبعض مؤيديه إلى سفارة يوغسلافيا مؤقتا إلى أن أعطتهم رومانيا الشيوعية حق اللجوء السياسى ، ومن هناك (فى بلد اللجوء السياسى) تمت عملية استجواب المناضل المجرى وأعيد إلى بودابست حيث حكم عليه بالإعدام شنقا . لقد كان من نتائج هذه المواجهة أن سجلت للمجريين الريادة فى التطلع للحرية ومواجهة الستالينية والقمع .

لقد شهدت المجر فترة ركود سيئة بعد عام ١٩٥٦ حيث هجرها الآلاف من النشطاء والقادرين وخيم جو من اليأس على الناس ، وتسببت عمليات الملاحقة والسجن فى انتشار جو من الريبة واللا أمن وجرت عمليات قمع رهيبة طالت حتى الرموز المهمة كالفيلسوف واقع السبيط (جورج لوكاش) الذى منعت كتاباته.

والحقيقة فلقد كان من النتائج الإيجابية ، لكن المواجهة هو تعاطف عالمى مع المجر مما جعل السوفيت يغضون الطرف عن العديد من السياسات الاقتصادية المميزة للمجر . وفى عام ١٩٦٢ بنت الحكومة المجرية سياسة التصالح القومى ورفعت شعار الإصلاح الاقتصادى ، ورفع مستوى المعيشة وتشجيع الملكية الخاصة والعمل الحر وهو ما عرف (باشتراكية التجانس) وفى



عام ١٩٦٣ صدر عفو عام عن المساجين السياسيين مقابل وعود بعدم ممارسة حق الاعتراض والتعبير .

ولقد أصيب المجريون المقيمون فى إقليم ترنسلفانيا برومانيا بضعف ما أصيب به قومهم من قمع وملاحقة وتصفية ، والحقيقة فإن رومانيا كانت على قائمة الدول التى كانت تمارس انتهاكا صارخا لحقوق المواطن والإنسان حتى تجاه مواطنيها الأصليين ، فما بالك بمواطنين من الدرجة الثانية .



الشيوعيون والأقليات

شيوعيون ولكن متعصبون

ثمة حقيقة تاريخية مؤلمة ، وهى أن الأنظمة الشيوعية نمطت نفسها على المنوال السوفيتى ، فدرجة القمع كانت واحدة ومتشابهة ، ولا ترحم ، والقسوة كانت سلعة يتم تبادلها بين أجهزة البوليس فى تلك الأنظمة ، والغريب أن أحدا لم يجرؤ فى تلك الأنظمة على رفض مبدأ (القمع العظيم) الذى صاغه ستالين بحجة تأجيج الصراع الطبقى حتى تنتصر الاشتراكية ، وكأنما موت إنسان أو سجنه سيؤدى إلى أن يعم الخير على إنسان آخر ، وحتى ولو افترضنا جدلا أن ذلك نتيجة صحيحة ، فما فائدة سعادة شخص فى مقابل شقاء آخر ، إن هذه الحجة الوضيعة التى ساقها ستالين ونفذها مؤيدوه وأجهزتهم القمعية فى الدول السائرة فى فلك السوفيت لم تسمح بالالتفات لقضايا أكبر مثل حقوق الإنسان وحرية التعبير ، أو تنمية المشاعر القومية والحفاظ على الهوية الوطنية ، لقد كان الوضع فى بلدان شرق أوروبا وروسيا ذاتها معقدا ومتشابكا من الناحية الإنسانية ، إذ كان على المسجون الذى يواجه الموت عطشا أن يبحث عن الماء أولا لينقذ حياته ثم بعد ذلك ليرى متى سيفرج عنه، هكذا كان الحال بالنسبة للمجريين فى إقليم ترنسلفانيا ، فهم فى سجن كبير ، لكنهم كانوا عطشى ويواجهون القسوة والقمع ، لذلك كانت أولوية مطالبتهم بالاستقلال مثل أولوية مطالبة السجين الذى يواجه الموت عطشا بإطلاق سراحه ، من هنا جاءت التعقيدات وبدأت القضية المركبة لعودة الهوية لسكان ترنسلفانيا أكثر صعوبة، لقد كابدوا فى ظل النظام الشيوعى فى رومانيا من قساوة النظم التى كانت تنال حتى مواطنى رومانيا ، وقاسوا بالإضافة إلى ذلك مواجهة تهمة التمرد والخيانة والتآمر ، إذا ما تحدثوا جهارا فى مسألة حرية تحقيق المصير فى بلد تمارس

الفصل الثالث

فيه الشرطة السرية حرية مطلقة فى إدانة الدواب لا البشر ، وفى بلد لا يشعر فيه حتى أعضاء الحزب الحاكم بأية حصانة أو طمأنينة ، وهذا الحال كان ينطبق على سكان لاتفيا واستونيا وجورجيا والكروات والمولدافيين والأرمن ، وغيرهم الكثير .. كان الزمن الشيوعى عصيبا على الجميع فى أوروبا الشرقية من حيث حقوق المواطنة والتطلع للمستقبل ، وهو وضع كان يصعب معه الحديث فى ترنسلفانيا عن الهوية القومية والوطنية بعد قمع الثورة الشعبية فى المجر، وسحقها بالدبابات ، شددت القيادة الستالينية فى رومانيا من قبضتها وخصوصا فى اقليم ترنسلفانيا ، ذو الطابع المجرى ، وقاموا بحملة تطهير بشعة ضد من اعتبروهم مناصرين للثوار فى بودابست ، ذلك أنه أثناء أحداث عام ١٩٥٦ كان المجريون فى ترنسلفانيا يتجاوبون مع الأنباء التى كانت تصل إليهم من بودابست ، لذلك أرغموا على تقديم فروض الولاء للسلطة فى بوخارست بعد أن انتهى السوفييت من سحق ثوار بودابست ، وأمام التطورات اللاحقة فى رومانيا حيث تولى الرئيس تشاوشيسكو السلطة وهو القادم من خلفية غريبة ، فهو لا يحمل مؤهلات سياسية أو ثقافية ،ثم إنه لا يؤمن بالرأى والرأى الآخر ولا بتنوع الأعراق أو حوار القوميات ، فهو كان صانع أحذية ويفتقر للتعليم ، وله ماض غامض لا علاقة له بالسياسة .

بيد أن من المصادفات الشيوعية القدرية قادته لان يتولى إدارة البلد الذى يعج بالأعراف من ألمان وأكرانيين وروس ومجريين ورومان وبولنديين ، وفى زمنه رفض تشاوشيسكو أية مبادرات لإقامة المجتمع المدنى ، ورغم أن السوفيت كانوا قد سحبوا جنودهم من رومانيا منذ عام ١٩٥٩ ، إلا أن رومانيا شهدت من القمع أضعاف ما حصل في روسيا ذاتها ، حتى أن أحد المؤرخين كتب قائلا : إن الوضع في رومانيا يرتقى إلى (حالة اللامعقولية) . فتشاوشيسكو مارس أسوأ اضطهاد فى رومانيا وحرم أى نوع من أنواع المعارضة ، واعتبر

أن النقد الموجه إليه أو لحزبه هو تقويض لأسس الدعائم الاشتراكية ، لذلك كانت فكرة مجريي ترنسلفانيا بالمطالبة ببعض الحقوق كانت محاولة للانتحار المؤكد .

ولقد ظل الحال فى ترنسلفانيا على هذا المنوال إلى أن ظهرت بوادر التغيير فى روسيا التى يعود إليها الفضل فى صياغة سياسة جديدة فى العلاقات الدولية عام ١٩٨٥ ، والتى تأسست على قاعدة سيادة القيم الإنسانية واحترام العامل القومى للشعوب وممارسة الشفافية السياسية والاجتماعية ، وفتح الباب على مصراعيه لممارسة النقد والاحتجاج ، ولقد اعتبر الإصلاحيون والثوريون وطلاب الحرية وأعداء القمع والعنصرية ، اعتبروا ذلك فرصة هامة لإجراء تغيرات كبيرة فى بلدان أوروبا الشرقية كافة ، ورغم الترحيب الشديد بسياسة جوربتشوف إلا أن الشيوعية الرومانية لم تعجبهم هذه السياسة ووجهت قيادة الحزب الشيوعى برئاسة تشاوشيسكو نقدا لاذعا ، لجوربتشوف واعتبرت تلك السياسة ضربا من الخيانة للمبادئ الاشتراكية . لقد نادى جوربتشوف بالسماح للجماهير بالمشاركة فى السلطة وإحداث التغيير بنفسها وتحويل سياسة إعادة البناء إلى حقيقة ، وكانت هذه النداءات بمثابة رصاصة الرحمة التى أطلقت على الأنظمة الشيوعية التى كانت فى طريقها للموت ، ووسط ذهول شيوعيي أوروبا الشرقية نفسها وقبلهم شيوعيي موسكو قال جوربتشوف أن النموذج السوفيتى فى الحياة (لم يصمد أمام الزمن ، ومن ثم فقد فشل اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا) وخاطب قادة وأحزاب الدول الشيوعية بأن الوقت قد حان للتغيير الاجتماعى .

وإذا كانت المجر قد سلكت منذ تولى رئيسها (كادار يانوش) سياسة الدكتاتورية الناعمة (والرقابة المنفتحة) (والسوق نصف المقيدة) فإنها لم تكن تسمح بوجود معارضة مؤثرة وفاعلة ، ورغم أن المجر مارست سياسة أقل



تشددا فى مجالات التعليم والاقتصاد والإدارة إلا أن جمهور القيادة الشيوعية التى كانت تستند على موسكو أوقفت الاندفاع نحو تحسين مستوى المعيشة والارتقاء إلى مجتمع الاكتفاء والازدهار ، ولقد ظلت المجر حتى سقوط الشيوعية اقل بلدان شرق أوروبا ممارسة للقمع والعنف السياسى ، ولعل تدهور الحالة الاقتصادية على مستوى أوروبا الشرقية كلها وضعف الأداء الاقتصادى بسبب البيروقراطية والجمود فى القيادة السياسية لعل كل هذه الاسباب قد جعلت المجر قابلة للاشتعال السلمى مع أول طلائع لأخبار جوربتشوف فقد التف حول أطروحاته المثقفون والانتلجنسيا وحتى كوادر الحزب الشيوعى المجرى نفسه واتفقت المعارضة السلمية فى المجر على أن تؤسس على أثر ثورة ١٩٥٦ قاعدة للانطلاق التاريخى للأمام من خلال البدء من نفس مطالب عام ١٩٥٦ فى التعددية والحرية الكاملة وتقرير المصير وحين خرج الرئيس كاداريانوش بعيدا عن دائرة السلطة فى مايو ١٩٨٢ كانت المجر قد دخلت فى دائرة جديدة قوامها المجتمع المدنى المفتوح والمتنوع على كل الأصعدة وتسارعت الأحداث فى بودابست وسط ذهول الجميع للسرعة والسلاسة ، ففى أكتوبر ١٩٨٩ استبدل (الحزب الشيوعى المجرى) اسمه إلى (الحزب الاشتراكى) وأصدر بيانا يندد بالسوفيت والهيمنة الروسية وبالشيوعية ، ورافق ذلك إعلان تأسيس العديد من الأحزاب الجديدة مثل المنبر الديمقراطى وصغار الملاك والديمقراطيين الأحرار ، وحزب الشباب وعشرات من المنظمات السياسية والاجتماعية الجديدة ، حتى الغجر كونوا حزباء لهم بل حتى أصحاب المهن الواحدة أسسوا أحزابا فى مواجهة غير مسبوقة فى البلد الهادئ .

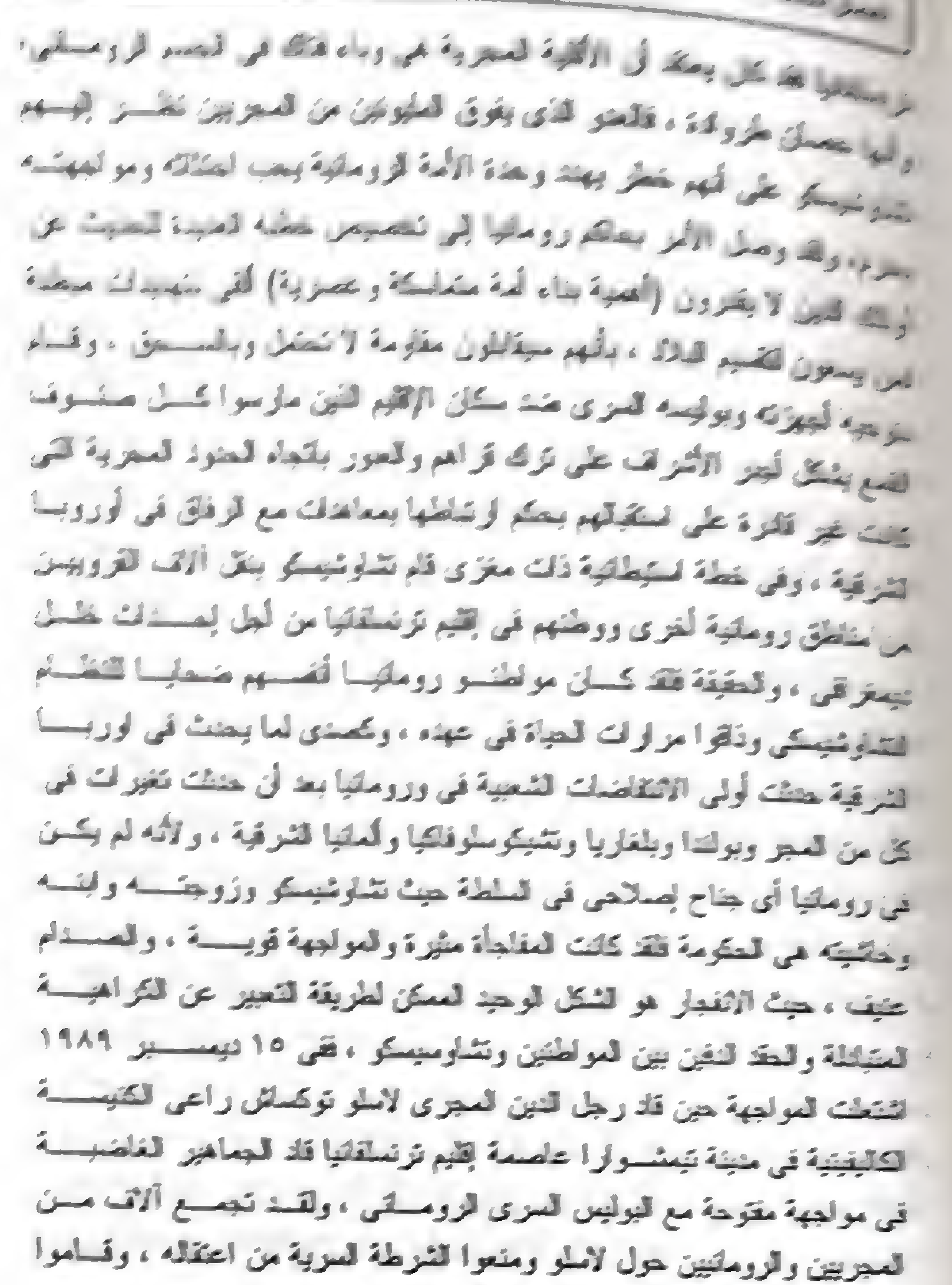
والغريب أن بعض من كانوا فى الحزب الشيوعى هم أنفسهم ممن أسسوا أو اشتركوا فى بعض الأحزاب الجديدة .



وفي صيف ١٩٨٨ تحولت هذه المعارضة ممثلة بشكل هذه الأحزاب والحكومة انتخابا تاريخيا تم خلاله الاتفاق على تنظيم أول انتخابات حرة وكان ذلك في عام ١٩٩٠ ، حيث تم تشكيل حكومة منتخبة برئاسة المنتدى الديمقراطي ، وبدأ الأمر كأنه حلم المجر ، وعلى مقربة من الحدود المجرية في ترنسلفانيا حيث يتأثر الناس مباشرة بما يحدث في المجر كان المشهد حذرا ومعقدا في البداية ، لكنه تحول إلى مشهد أكثر وعيا وحيوية ، عندما تخلت رومانيا بالقدرة التعبير عن بوابة المواجهة لا الحوار كما حدث في المجر . كان مجريو ترنسلفانيا مستظلين بالنظام الشيوعي السابق لم يطالب بأية حقوق أبعد من رفاق بوخارست ، ولم يضع قضيتهم كحق قومي ، وتنصل من التزاماته لوعوده ولم يكلف نفسه عناء بث الأمل في نفوسهم ، ولذلك فقد كان التغيير في بودابست باعثا جديدا للأمل ومصدرا للابتهاج ، فعل النداء القومية تجري في عروق النظام الجديد ودعوة رؤية الأشياء على حقيقتها خصوصا وأن الوضع في ترنسلفانيا كان قد وصل إلى درجة لا تطاق على الإطلاق ، فبالإضافة إلى النظام القمعي الذي يعتمد على البوليس السري والذي يحصر أنفاس الناس . واجهت سكان ترنسلفانيا مشكلة جديدة وهي أن النظام الروماني فرض حظرا على استيراد المواد الغذائية والسلع واستغل الإنتاج الزراعي للتصدير ومنع (أكل الخبز الساخن) ! حتى أن نكتة رومانية تقول : إن أحد السواح ذهب إلى محل عام فسأل عن خبز ساخن فقالوا له : إنه موجود ، وعندما طلبه قالوا له ، ستستلمه بعد غد .

ولعل أسوأ ما عاناه الناس هناك هو قرار منع إمدادات الطاقة عن الاستهلاك المحلي وهو ما جعل بعض الناس تموت من البرد ، كان تشاوشيسكو يضرب على وتر القومية الرومانية وهو يوجه هذه السياسة أساسا ضد إقليم




ترنسلفانيا لعله كان يعتقد أن الأقلية المجرية هي وباء هناك في الجسد الروماني، وأنها تحمل عدوى ، فالعدد الذي يفوق المليونين من المجريين نظر إليهم تشاوشيسكو على أنهم خطر يهدد وحدة الأمة الرومانية بسبب امتداداته وهو لجهته بعمر ، وقد وصل الأمر بحاكم رومانيا إلى تخصيص خطة لإبادة الحديث عن أولئك الذين لا يقرون (العبرة بناء أمة متماسكة وعصرية) التي ستهدد بمحنة لمن يسعون لتقسيم البلاد ، بأنهم سيقابلون مقاومة لا تحتمل وبالسحق ، وقام بتوجيه أجهزته وبوليسه السري ضد سكان الإقليم الذين مارسوا كل صنوف القمع بشكل أجبر الأشراف على ترك قراهم والعبور باتجاه الحدود المجرية التي كانت غير قادرة على استقبالهم بحكم ارتباطها بمعاهدات مع الرفاق في أوروبا الشرقية ، وفي خطة استيطانية ذات مغزى قام تشاوشيسكو بنقل آلاف الرومانيين من مناطق رومانية أخرى ووطنهم في إقليم ترنسلفانيا من أجل إحداث خلل ديمغرافي ، والحقيقة فقد كان مواطنو رومانيا أنفسهم ضحايا للنظام التشاوشيسكي وذاقوا مرارات الحياة في عهده ، وكصدى لما يحدث في أوروبا الشرقية حدثت أولى الانتفاضات الشعبية في رومانيا بعد أن حدثت تغيرات في كل من المجر وبولندا وبلغاريا وتشيكوسلوفاكيا وألمانيا الشرقية ، ولأنه لم يكن في رومانيا أي جناح إصلاحي في السلطة حيث تشاوشيسكو وزوجته وابنه وحاشيته هي الحكومة فقد كانت المفاجأة مثيرة والمواجهة قوية ، والصدام عنيف ، حيث الانفجار هو الشكل الوحيد الممكن لطريقة التعبير عن الكراهية المتبادلة والحقد الدفين بين المواطنين وتشاوشيسكو ، ففي ١٥ ديسمبر ١٩٨٩ اشتعلت المواجهة حين قاد رجل الدين المجري لاسلو توكيش راعي الكنيسة الكالفينية في مدينة تيمشوارا عاصمة إقليم ترنسلفانيا قاد الجماهير الغاضبة في مواجهة مفتوحة مع البوليس السري الروماني ، ولقد تجمع آلاف من المجريين والرومانيين حول لاسلو ومنعوا الشرطة السرية من اعتقاله ، وقاموا



بمظاهرات عارمة ضد تشاوشيسكو ، ولم تمض ساعات حتى كانت المدينة قد ازدحمت بالمحتجين من مؤيدى رجل الدين المجرى الذى أصبح فيما بعد بطلا شعبيا فى ترنسلفانيا وتحول الموقف إلى ثورة شعبية عندما تعاملت قوات الأمن الرومانى مع المتظاهرين بوحشية وبربرية أطلقت النار على الناس فى الشوارع وعلى البيوت وفى السيارات فى مذبحة بشعة ، وفى تطور متسارع للأحداث انتقلت الشرارة إلى بوخارست التى غادرها تشاوشيسكو فى زيارة خارجية سيئة التوقيت، وفى ٢٠ ديسمبر عاد إلى بوخارست بعد أن اختمرت بـوادر الثورة ونضجت وألقى تشاوشيسكو خطابا للأمة وصف فيه الأحداث بأنها مؤامرة وأنه سيقضى عليها وخص تيمشوارا بأنها مكمن لقطاع الطرق والمرتزقة والفاشست والعملاء والخونة ، وقال أن الأقلية المجرية تحركها مطامع شوفينية ، وقبل أن يكمل احتفاله الكرنفالى بقمع ثورة تيمشوار كان الشعب الرومانى قد اتخذ قرار التغيير وجرت مواجهات دامية فى شوارع بوخارست وغير الجيش الرومانى موقفه وانضم أخيرا إلى الشعب ، وفى يوم ٣٠ ديسمبر ١٩٨٩ شنق تشاوشيسكو وأقيم على أثر ذلك حكم جديد فى بوخارست ، وفى سياق المناخ الجديد قام سكان ترنسلفانيا بتشكيل حزب سياسى سمى الاتحاد الديمقراطى المجرى ، كان من أهدافه رفع المعاناة والمطالبة بإيقاف التمييز العنصرى السافر ، وهو ما جعل رومانيي الامس يعيدون تنشيط حركة (الموقد الرومانى) من جديد فى خطوة ذات دلائل على أن استبدال الوجوه فى بوخارست لا يعنى استبدال السياسات، لقد بدأت الحركات الرومانية المتطرفة فى مهاجمة الأقلية المجرية وقامت بتسفيه آمال سكان ترنسلفانيا ، كما ظهرت دعوات جديدة وغريبة مثل (رومانيا مير) أو رومانيا العظمى فى إشارة إلى أن إقليم ترنسلفانيا سيظل رومانيا للأبد . لقد لخص المفكر الرومانى نيكولاى مانوننتشيسكو الوضع الجديد فى خطابه بمدينة تيمشوارا فى ذكرى أحداث ١٩٨٩ قائلا بمرارة : " قمنا بثورة



لكنها فشلت فى تحطيم الحواجز ، إننا كمثل من لم يفعل شيئا " إن هـذا القـول ينطبق تماما على سكان ترنسلفانيا ومدينتهم العريقة تيمشوارا ، لقد دفعوا ثمنـا باهظا من أجل لاشىء ، فبعد انقشاع ظلام ليل تشاوشيسكو اكتشفوا أنـهم فـى ظلام جديد من صنع قوى داخلية وخارجية صديقة وعدوة ، بـل لقـد تبدلـت الأدوار والأشخاص فأولئك الذين كانوا يناضلون معهم من أجل مستقبل أفضـل أصبحوا اليوم فى سدة الحكم على لا ينظرون لمستقبل تيمشوارا وترنسلفانيا على أنه مستقبلهم هم ، إن مستقبل ترنسلفانيا لا يفسر فى بوخارست إلا على قـاعدة الجريمة والانفصال والشوفينية والعداوة ، لذلك فإن المعانـاة لازالـت قائمـة والتعب هو ما يفتح عليه سكان ترنسلفانيا أعينهم كل صباح ، ولم تسع الحكومـة الرومانية التى قامت على أنقاض تشاوسيسكو إلى محو آثار الماضى السـيئة ، وإقامة مجتمع مفتوح كما تروج وسائل الإعلام ، بل على العكس من ذلك فلقـد زادت الحركة القومية المسماة (بالموقد الرومانى) (فاترا ورمنسيكا) ذات الاتجاه الشوفينى المعادى لتطلعات المجريين زادت من اضطهادها للسكان الأصليين ، وقامت باستفزازات متعمدة وأعمال يمكـن أن تصـل إلـى درجـة التمييـز العنصرى ، والحقيقة فإن هذه الأفعال لا تعبر إلا على شكل المحنة ، وإن جراح الأمس لا زالت بلا التئام ، ولم تمنحها الديمقراطية الجديدة المعلنة آية ووصفـة دوائية ، باستثناء النصائح والشعارات التى لا تتجاوز الشفاه .

لقد بدأ سؤال كبير فى الظهور بعد سقوط تشاوشيسكو بسنوات وهو : هـل ما يحدث ديمقراطية أم عرقية عنصرية ؟!

إن الجواب لا يكون بالشق الأول بالتأكيد إذا ما وضعنـا فـى الاعتبـار المشاهدات المباشرة لما يحدث فى ترنسلفانيا من ممارسات أشـبه مـا تكـون بممارسة التمييز العنصرى فى جنوب أفريقيا ، إن من حق مجريى ترنسلفانيا أن

ينظروا للتاريخ بعين الارتياب العميق ، فالتـاريخ الـذى جلـب لهم الغـزاة والمعاهدات والجرائم المريرة والمحتلين لا يستحق من أولئك المغبونين كلمة ترحاب واحدة ، ورغم كونهم جزءا من أوروبا المتحضرة وحاضرتها المهمة ، إلا أن أحدا من أوروبا الفاعلة لم يحرك ساكنا ، وعندما تصبح الأمور سيئة إلى الدرجة التى تشبه أحداث كوسوفو فإن أوروبا ساعتها ستتحدث عن هذه المأساة، لكن ذلك الحديث سيكون مكلفا وله ثمن فادح .

أحقـاد قـديمة وطموحات جديدة

لقد تسببت التطورات المتتالية على المنطقة والصراعات والحـروب فـى نشوء بؤرة التطرف القوى والتعصب ، وظهرت الأحقاد المريرة ، وزاد من قوة الكراهية فى المنطقة ما نتج عن معاهدة تريانون وارتبط بعد ذلك معيد المجريين فى ترنسلفانيا بقدر غريب ، إذ أصبحوا أقلية فى رومانيا ، وتحولوا إلى درجـة أولى فى الوطنية ، وأدى ذلك إلى نشوء الأحقاد الإثنية والبغـض المتبـادل ، وتحولت المنطقة إلى ساحة للكراهية وعدم الثقة والشك ، وهى عناصر للعـدم ولا تساعد على التطلع للمستقبل أو الحكم بطموحـات جديـدة ، لقـد تحـول المجريون إلى أكبر أقلية فى وسط أوروبا مقيدون بمعاهدة لـم تـرع العوامـل التاريخية ولا المشروعية العرفية ، ولا حتى تلك المشاعر العائلية المتفشية على طرفى الحدود المجرية، وبسبب تعدد الدول التى تتاخم حدود الإقليم والتى هـى الصرب والأوكرانيين والرومان والسلوفاك والألمان والغجر ولكل منها مشـاكله أصبح مجرد الحديث عن الحقوق الوطنية أو الروابط التاريخية موضعا مثـيرا للحفيظة .

والواقع أن إقليم ترنسلفانيا الذى يشمل المنطقة الواقعة شرق المجر الحاليـة وصربيا وشرق وشمال مولدافيا والمناطق التى كونت مملكة الرومان والإقليـم المحتوى على مناطق (كريشنا أو بارتيوم ومارموريش أو مارموراش وأجـزاء من بانات) والبالغ مساحته ١٠٢ ألف كيلومتر مربع اسـتقطع مـن الأمـلاك المجرية وألحق برومانيا وفق معاهدة (تريانون) التى أعقبـت انتـهاء الحـرب العالمية الأولى ، ألحقت هذه المنطقة بسكانها بمنطقة الكاربات الشهيرة الرومانية

إمعانا في ضمها بشكل نهائي إلى البلد الجديد ، وأرض ترنسلفانيا تعني (أرض ما بعد الغابات) وينطق المجريون عليها إقليم (أردى) بينما يسميها الرومان (ارديل) .

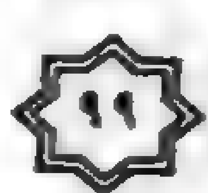
إن معالجة مسألة الأقليات العرقية في إقليم أردى أو ترنسلفانيا كان له ماض تاريخي متنوع ، وله تاريخ طويل من الحكايات .

ولقد ذهبت رومانيا الشيوعية إلى الاقتراب من المشكلة ، وقد استخدم النظام الروماني أساليبه الستالينية في حل المشكلة عن طريق تغيير الواقع الديموغرافي وتهجير السكان وتمدين القرى وإعادة تخريط الإقليم وتوطين عائلات رومانية جديدة ومساعدة المهاجرين الجدد للإقليم ، في مقابل وضع عراقيل أمام تطوير البنية التحتية للإقليم التي يفترض ان تقدم خدمات أفضل لسكانه الأصليين ، وقام النظام بتشجيع الهجرة المجرية من الإقليم إلى مناطق أكثر قرب من حدود المجر ، حتى أنه دفع بتصرفاته القاسية هذه عددا يقدر بعشرات الآلاف للهجرة إلى الوطن الأم ، ويشاهد المرء بسهولة في ضواحي بودابست أعدادا كبيرة من مجريي ترنسلفانيا وعلامات البؤس مرتسمة في وجوههم في الأسواق الشعبية/ البياتسات / المعدة لمحدودي الدخل ولعارضي السلع القديمة أو الرخيصة وهذه المضايقات قطعت شوطا كبيرا لتغيير المعالم التاريخية للمنطقة ، ولقد سببت المعالجات الشيوعية القاسية واللاإنسانية لموضوع الأقليات خللا كبيرا في مفهوم التاريخ والهوية القومية .. وتحت شدة البطش البوليسي تم كبت المشاعر ومنع المطالبة بالحقوق القومية ، وسحقت بذرة التطلع للأمام ، وتخلى السكان عن النظر للحد الأقصى واكتفوا بمجرد العيش والبحث عن لقمة للحياة ، فحين يكون الخيار بين الاضطهاد أو البحث عن الهوية فإن الإنسان الواعي سيختار تجنب الاضطهاد والانتظار .



وحتى المعالم الأثرية أو التاريخية والتي تؤكد وتدل على أحقية المجر في أرضها ترنسلفانيا فإن السجلات الرومانية مسحتها من الوجود أو أدخلت عليها تعديلات جوهرية مسخت من قيمتها كدليل تاريخي للمستقبل .

إن الشريط المتاخم للحدود مع المجر الآن لم يتبدل كثيرا ، فهو لازال المركز الأساسي للتواجد المجري في الإقليم وسكانه ينظرون عبر الأفق نحو الغرب حيث الوطن الأم ، وهم يتركزون في مناطق كريسانا وبانات وماراموريس ، وهذا أمر لا زال يقلق السلطات الرومانية ، وفي المناطق التالية فإن التواجد السكاني لذوي الأصول الالمانية هو الاكثر تركيزا بحكم الواقع ويأتي بعد ذلك الحضور الصربي ولكنه اقل كثافة مع عدد من عشائر الغجر ويقسم السكان في الاقليم المناطق الجغرافية بينهم حسب الأغلبية التاريخية فالمجريون والألمان يتواجدون في ضفاف الانهار والمناطق الخصبة والسهول والوديان الخضراء وهم الملاك الحقيقيون لتلك الاراضي، بينما يستوطن الرومان سفوح المرتفعات والجبال أما الغجر والصرب فإنهم موجودون في مجموعات أقل عددا في كلا المنطقتين ، لقد سببت نتائج الحرب العالمية الثانية تغيرا جوهريا في الإقليم بسبب عمليات النزوح والطرد والتنكيل وقل عدد الألمان بينما انخفضت الزيادة في نسبة المجريين وازدادت معدلات تواجد الرومان ، ومع ذلك فقد ظل الوجود المجري قويا ومؤثرا رغم كل العواصف، ولعله من المفيد التذكير بأنه خلال سنوات الغليان القومي للرومان والعدوانية الصارخة التي جرت في الإقليم عقب الحرب العالمية الأولى فقد سبب ذلك الخلل الأساسي في معدلات الزيادة ، ولولا تلك العدوانية التي اتسمت بها معالجات السلطات الرومانية لمشاكل الإقليم لكان عدد سكانه المجريين أكثر مما هو موجود الآن حسب الإحصائيات الرسمية والتي هناك ادعاءات بأنها غير



صحيحة ، ففى إحصائيات قيل أن عدد المجريين لا يتجاوز مليون نسمة فى الإقليم بينما تدعى هيئات مستقلة أن عددهم تجاوز الثلاثة ملايين . لقد انعكست الآية الآن ففى الماضى كان السكان المجريون هم الأغنى والأكثر دخلا والأوفر حظا فى الحصول على سبل الحياة ، لكن الآن تبدل الوضع ، وصاروا هم الأفقر وفقدوا حظوة القدر وأصبحوا يكابدوا ضنك الحياة ، وعلى المرء أن يتخيل كيف يكون الولاء القومى ذا أهمية فى الدول الشيوعية السابقة ، فالإنسان المشكوك فى ولائه لا حياة سعيدة لديه وهو منبوذ فما بالك بأقلية قوية لديها طموح الانفصال والاستقلال أو الاندماج مع الوطن الأم .

وأمام هذه الأوضاع السيئة لهؤلاء السكان اصبح من الطبيعى أن تظهر أصوات محايدة تطالب بحقوق هؤلاء البشر وانضمامهم ودفع الجور عنهم فهناك الآن مجموعات كبيرة من المتعاطفين مع قضيتهم ، وهذا التعاطف يجب أن لا يفسر على أنه عداء للشعب الرومانى الذى يكن له الناس الاحترام والتقدير ، ولكنه تعاطف مع الحق ، وضد ممارسات قد يتعرض لها الشعب الرومانى نفسه ولو ترك العالم المعتدين ولم يواجه الظلم لأصبح العالم غابة مؤذية ولخالف البشر تعاليم الله والكتب السماوية التى تنادى بالعدل ومناصرة الحق فى أى مكان .

إن الناس لم تعترض عندما استقلت دول الصرب والكروات والرومان والسلوفاك عن المجر لأن ذلك حق مشروع ، لكن الناس ذاتهم تعترض على الظلم الذى وقع على المجريين فى أرضهم التاريخية كترنسلفانيا .

وخلال الحكم الشيوعى كان ما يدعو للضحك هو الزعم بأن الدعوات القومية ومطالب الهوية الوطنية تعرقل التطور والتنمية وتحول دون السير إلى

الأمام وكان من الناس من يصدق هذا الزعم إلى الدرجة التى وضعت فيها المفاهيم القومية للمنطقة ككل فى درجة التجميد ، وكانوا يقولون أن النظرة القومية ما هى إلا نظرة ضيقة لا تخدم الإنسانية والحقيقة أن كل ما كان يقال من اطروحات ماركسية كانت مخدر مؤقت سرعان ما انتهى مفعوله واستيقظت الشعوب ذات صباح على رؤية وجه الحقيقة ، وهى أن القومية عامل تقدم ولكن بدون تعصب ، ولن التاريخ يصنعه العامل القومى ، وأن القومية مدخل للإنسانية وليست نقيضا لها إذا أحسن استخدامها كأداة تفاعل وتنوع حضارى .

* * *

الفصل الرابع

متى يبدأ المستقبل ؟

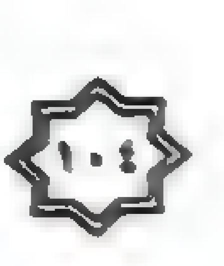
" إن الجهل سيختفي عندما
تقدم الأشياء على حقيقتها "

من الكتاب الأخضر

مقارنة بلا مقارنة

في سنة ١٩٨٨ قرأت في وسائل الإعلام أن رومانيا (أيام حكم تشاوشيسكو) قد أصدرت بيانا (واضحا) في ختام اجتماعات الحزب الحاكم مفاده أن سكان رومانيا يتمتعون جميعا بنفس القدر من الحقوق والواجبات .. وكيف أن كل الأقليات (تعيش) في مناخ من الحرية وتكافؤ الفرص . استمتعت بالديباجة (الجيدة) للبيان ، الذي عدد (المنجزات) التي تحققت في ذلك الوطن المجهول ، بالنسبة لي كصحفي ليبي شغفه حب العلم والتطلع لبناء نفسه إلى درجة مواصلة الدراسة العليا في جمهورية المجر التي تجاور رومانيا .

ومع الأيام بدأت تتسرب إلى أسماعي الكثير من الحكايات عن ما عرفته لاحقا بالأقلية المجرية في رومانيا والتي يبلغ عدد أفرادها قرابة ٢،٠٠٠،٠٠٠ نسمة ، كانت الحكايات تدعو للقلق ، وكان الإعلام العالمي لا يولي الموضوع أية أهمية ، وكان الإعلام العربي غير معني أساسا بما يجرى هناك ، خصوصا وأن تطورات الأحداث المذهلة هناك قد أربكت العالم وقدمت للسطح مشاكل ساخنة وموضوعات مثيرة ، فقد بدأت الأنظمة الشمولية الشيوعية في التداعي كجدار مهترئ آيل للسقوط ، وكنا مذهولين من سرعة وخطورة الاحتمالات ، فقد كان مجرد الحديث عن الانفصال عن دائرة الاتحاد السوفيتي أمر يدعو لسماع هدير محركات الدبابات ، وكانت الشواهد تؤكد على ذلك، فثورة المجريين عام ١٩٥٦ سحقت بالدبابات بلا رحمة ، والغريب أن أحد أصدقائي المجريين وهو مخرج سينمائي حدثني كيف أن السوفيت عندما أرسلوا جنودهم لاجتياح بودابست قالوا لهم :



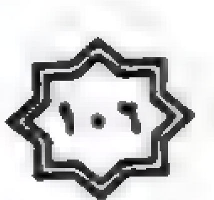
بكم ستقاتلون جيش (الإمبريالية) الفرنسي والانجليزي الذي احتل قناة السويس وحطم إرادة الشعب المصرى ، ففى تلك الفترة كان العدوان الثلاثى قد نشب ودكت الطائرات المعتدية مدن مصر وهبطت القوات الفرنسية والإنجليزية فوق القناة واجتاح المعتدون الإسرائيليون شبه جزيرة سيناء ، وأضاف الصديق المجرى أن الجنود السوفيت هبطوا كالجراد واستخدموا دباباتهم وأسلحتهم على ضفاف الدانوب الثقيلة في دك المدن والثوار بوحشية ، ولما لا فهم جنود الجيش الاحمر الذي لم تمر على ذكريات انتصاره على النازية والفاشية سوى عشر سنوات ولازالت نشوة النصر التاريخية تدور في أذهانهم ، أما في براغ فقد حصد التشيكيون والسلوفاك ما زرعته أحلام الخروج من النفوذ السوفيتي، حصدوا ذلك محصول من المرارة فقد قاموا ذات صباح في عام ١٩٦٨ على أصوات الدبابات في شوارعهم وبعد مقاومة قصيرة أذعن (دوبتشك) إلى الأمر الواقع الذي وقف أمامه العالم موقف الاستسلام، لكل هذا ، وأمام هذين المثالين كان العالم يشعر بالذهول للتغيرات المهمة التي تلاحقت في المنطقة ، بداية من انهيار سلطة حزب العمال الشيوعي في المجر والانقلاب الأبيض الذي حصل في هدوء وبلا دم مرورا بسقوط حائط برلين وتوحيد الالمانيتين وانتهاء بتفكك الاتحاد السوفيتي نفسه وأخيرا محاولة ، الانقلاب الفاشية والمضحكة التي حصلت ضد (غورباتشوف) وصعود يلتسين ، كانت الأحداث في مجملها غير متوقعة ومذهلة وخطيرة وكبيرة في نفس الوقت، وحين تحصل أحداث بهذا الحجم فإن على المرء أن لا يتوقع اهتمام إعلامي بموضوع قد يبدو للوهلة الاولى غير ملح ، أو لا يتمتع بالأسبقية في سير آلة الإعلام العالمية ، وحين تم إعادة خلط الاوراق وفرزها على أسس جغرافية وعرقية وقومية كانت هناك ملاحظتان قويتان أمام المراقبين : الأول : إن التحول الذي حصل في المجر تم في شكل حضاري راق ، فلم تشعل النيران في أى مكان ولم يؤذى أى أحد ، ولم تطلق النار على المعارضين ، وكنا نجلس في مقهى الانجليكا الرائع حيث



كنت أشارك لفيف الكتاب والمثقفين المجريين جلساتهم ، كان المقهى والذى يعود لمئات السنين الغابرة يدل على فخامة هندسية ، وكان لموقعة الجميل بجوار محطة (المترو) وجوار نهر الدانوب خصوصية مميزة ، حيث كان المقهى محطة لالتقاء وتجمع عشرات الطليعيين ، وكانت المجموعات تدخل إليه حاملة لا فتات ومنشورات وكانوا يجلسون داخل المقهى بلا ضجيج أو هتاف أو صراخ مع إنهم كانوا يتحدثون عن موضوعات التغيير والديمقراطية وتداول السلطة ، وحين تمت تلك العملية واستلم حزب (الإم دى أف) ، أو حزب الجبهة الديمقراطية المجرية السلطة فى بودابست كان الموضوع كأنه حلم أو خيال فبين لحظة وضحاها أصبحت الشيوعية فى خبر كان ، وتحولت المجر إلى بلد بوجه جديد ، ومقارنة بالأحداث فى رومانيا وحتى فى بعض الجمهوريات التى كانت ضمن الاتحاد السوفيتي كجمهوريات البلطيق كليتوانيا واستونيا ولا تفيا كانت التطورات مصحوبة بالدم والحرب والانفجارات وفيما لاحظ العالم كيف حصلت عملية الاستبدال للسلطة فى بودابست بسهولة وحضارة وبلا إراقة للدم كانت الأخبار تنقل أنباء مؤسفة عما وقع فى الجارات العديدة للمجر كيوغسلافيا حيث انفصلت (سلوفينيا) وكرواتيا والبوسنة والهرسك أوفى جمهورية رومانيا حيث تمسك (تشاوشيسكو) بالحياة حتى الرمق الأخير وظل تشاوشيسكو يحاكى نيرون وهو يشاهد احتراق روما عازفا على أوتار أوهامه إلى أن أذيع خبر إعدامه حيث استسلم رجاله .

أما الملاحظة الثانية : فهى إنه رغم أن نتائج الحراك الاجتماعى والسياسى والانقلابات الجيوسياسة التى حصلت فى المنطقة المهمة من العالم قد شملت كل الأقليات والأعراق إلا أن أحدا لم يلتفت إلى الأقليات المجرية فى الدول المجاورة وكأن فى المسألة سرا لم نفهمة وتلك كانت مشاهدة عينية لا تقبل الدحض .

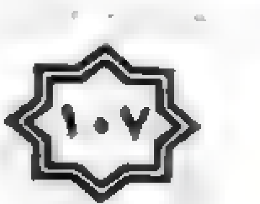
وإزاء هذه المعطيات كان لزاما على أى كاتب أو صحفى أن يتساءل عن السر فى ذلك ؟! .



رحلة إلى بلاد الأسئلة

فى سنة ١٩٩٠ وقبل أن أنهى مرحلة الدراسة الأولى فى المجر ، قررت الذهاب إلى رومانيا وبالفعل ذهبت بسيارتى وحيدا إلى تلك البلد المجهول والذى لم أعرفه عن قرب ، إلا عبر ما نسمعه أو ما نشاهده من التلفزيون ، وكنت قبل ذهابى أقابل فى (الأسواق الشعبية) أو ما يسمى (بالبياتسا) فى عدد من الاماكن من بودابست بعض الرومان حيث سمحت السلطات المجرية للبولنديين وللرومان ولغيرهم من الجنسيات ببيع الملابس القديمة أو الأدوات المنزلية المستخدمة أو بعض السلع الاستهلاكية كالدخان وغيره ، سمحت لهم بالبيع (السريع) خلال ساعات الدوام اليومى ، أو فى العطلات ، وكان بإمكان المرء الحصول على معطف (فرو) بولندى بأسعار زهيدة فى تلك الأسواق ، والحقيقة فإن الصينيين قد دخلوا بقوة وأصبحوا هم ملوك لبعض الأسواق ولا بأس من بعض المسلمة العربية فهناك عدد من أفراد الجنسيات العربية تمتهن (بعض) المهن التى قد ترتقى إلى التجارة ، كانت مقابلاتى للرومان تحديدا تثير فى داخلي شيئا من الشفقة والإحباط ، فمثلا تقابلك سيدة عجوز وهى تتحدث المجرية وتسألك هل أنت (أجنبى) ؟! فترد نعم فتقول هي إننى مجرية لكننى رومانية مجرية !! وتستغرب الموقف فتوضح لك القصة باختصار نحن كنا جزءا من المجر لكنهم (قسمونا) تركونا هناك ، وهذه كانت جملة دائمة تعودت على سماعها ومن ثم كانت فكرتي عن رومانيا مشوشة .

أعود إلى رحلتى ، فقد ذهبت إلى رومانيا في فصل خريفي ، وفى نقطة الحدود تعمدت أن أتحدث اللغة المجرية رغم أننى لا أتقنها ولا أتقن نبراتها ، فقد كنت على استعداد للعوده إلى بودابست إذا ما تعرضت لمضايقة ، سيما



وأنني علمت من أولئك (الرومان من أصل مجرى) كما يحلو لبعضهم أن يقول إنهم يضطهدون الشخص الذى يتحدث المجرية ، لذلك فما أن قدمت له جواز سفرى الأخضر الليبي حتى رفع رجل الجوازات حاجبيه ونظر إلى وتفحص ملامح وجهى ونظر إلى سيارتى البيضاء من خلال النافذه الزجاجية ، وقال لى باللغة الإنجليزية : ماذا ستفعل فى رومانيا ؟!

قلت له : سياحة لمدة أسبوع وقلتها (باللغة المجرية) .

قال لي باللغة المجرية : هل أنت مجرى ؟!

ضحكت ورددت بابتسامة : لا يا سيد فأنا (ليبي) ولكنني أدرس فى المجر ومن ثم أستطيع أن أتحدث المجرية !! وها هو جواز السفر أمامك .. انظر !

صمت قليلا ، وهو يتفحص الجواز والتأشيرة وقال : ماذا تفعل فى المجر ؟ . قلت له إننى أدرس في الأكاديمية المجرية ، وأردت أن أخلق نوعا من الثقة معه فالطابور بدأ يلتقط بعض السيارات خلفى ، وكنت أشعر بشكل شخصي بشيء غريب فنحن العرب لا نعامل كما ينبغى فالدخول والخروج لأى دولة فى أوروبا يجعلك تشعر بالقلق رغم حيازتك لتأشيرة وامتلاكك للنقود ، كما أننا كليبيين بشكل خاص – من وجهة نظرى – لا يجب أن نعامل كمن يبحث عن عمل أو أن يريد الهجرة أو يتاجر فى السوق السوداء أو ما شابة ذلك من طموحاته ، فنحن شعب صغير وغنى ويتشبث بوطنه ويحبه ورغم عشقه للاطلاع والسفر إلا أن أحدا منا لا يريد أن يكون مواطنا من الدرجة الثانية حتى ولو كانت الأرض الموعودة جنة . قلت له : أقوم بتحضير درجة الدكتوراه فى المجر فرد : هل أنت طبيب ؟!

صمت ثم قلت لنفسي إنه لا يفرق بين أنواع الدرجات .. وأعتقد أنه عندما سمع كلمة دكتوراه فقد توقع أن المسألة تتعلق بالطب . هززت رأسي دون أن



أتكلم ، وبينما كان رجال الجمارك يتفحصون سيارتى ويفتحون الأبواب كانت عيناى تتفحص بدورها الأفق الرومانى العجيب .

قطعت مسافة طويلة وأنا أعبر طرقا ملتوية وسهولا خصبة أو هضابا خضراء كان المنظر بديعا والقرى متناثرة على جانبى الطريق الضيق والذى يجبرك على أخذ الحيطة الشديدة فى المنعطفات وحين الاجتياز أو التقابل مع سيارات قادمة فى الاتجاه المعاكس ، ولولا أننى عبرت الحدود الدولية الفاصلة بين البلدين فإننى لم أستطع التمييز بين الجغرافيا فالمنطقة واحدة ولا توجد فواصل طبيعية كما أن المشهد البصرى لم يتغير ، حتى أسماء القرى والمدن تتشابه ، وفى محطة البنزين سألت العامل عن المسافة التى تفصلنا عن بوخارست فقطب وجهه وقال : أوه إنها طويلة جدا ستحتاج إلى أكثر من يوم لتصل إلى هناك ، كانت رائحة البنزين تخترق رئتى وأنا أراقب الطريق والسيارات العابرة ، طلبت منه أن يدلنى على مدينة قريبة وفيها فنادق فقال : إنها (تيمشوارا) وأكد لى إنها ستكون مثار اعجاب .

وبعد ساعات طويلة وصلت إلى المدينة الكبيرة التى تدخل القلب بسرعة فهى تتربع على مكان محاط بالتلال وتشكل البيوت البيضاء نسبة عالية من مبانيها وتتميز بجمال الموقع وفساحة الشوارع والبساطة ، بحثت فى مدخل المدينة عن فندق لكننى قررت أن أدخل إلى وسط المدينة فسائح مثلى لا عليه إذا قضى وقتا فى البحث عن مكان مريح فهو فى كل الأحوال يريد للوقت أن يمر ، ومن بين عدد من (الهوتيلات) أخترت واحدا يبدو أنه الأفضل حيث لاحظت أن هناك سيارات تحمل لوحات هولندية والمانية فاوقفت سيارتى فى محطة الفندق وترجلت ، وبالفعل استأجرت غرفة صغيرة لكنها تطل على شارع بهيج .



فى أول خروج لى التف حولى عدد من الأشخاص وهم يرددون (تشينج) أى (استبدال عملة) لكنني تحدثت معهم باللغة المجرية وقلت (لا شكرا) ، ثم سألت أحدهم : هل تساعدنى ؟! فرد (تفضل) ! قلت له أريد أن أتجول فى المدينة .. دلنى على مكان به مقاه أو أسواق ، تحدث الرجل لى بكلام كثير لكننى لم أفهمه جيدا فلغتى سيئة وربما يعود ذلك لأن أصدقائى فى بودابست يعاملوننى كأجنبى فيتحدثون معى بكلمات بسيطة ، أما هذا (التيمشوارى) فقد صفعنى بالحقيقة وهى إننى لا أجيد أغلب الكلمات وأنه ينبغى على التعلم أكثر ، المهم عرفت أن هناك مقهى غير بعيد ولا يفصلنا عنه إلا أحد التقاطعات القريبة، فقررت التجول فى المدينة . فى شوارع المدينة تجولت على الاقدام فقد اشتريت

(مظلة) واقية للمطر لأن الجو كان ينذر بوقوع المطر وكانت هيئتى تدل على أننى أجنبى فقد كنت أتجول وأنا أحملق فى الشوارع والحيطان والمبانى والتى لا تختلف عن المدن المجرية حتى فى إعلاناتها ، إلا أن بعض الكلمات والأحرف مختلفة ، ولقد لفت نظرى أن بعض الإعلانات ممزقة وبعضها مشطوب عليها، وحين جلست إلى أحد المقاهى تعمدت أن أتحدث أولا باللغة الانجليزية لأوضح للشقراء العاملة فى المقهى أننى لست رومانيا كى تعيرنى أهتماما ، لكنها اعتذرت بهز الأكتاف .. وللحظات حاولت الاستدارة باتجاه أحد زملائها ، لكننى بادرتها بسؤال باللغة المجرية ، هل تتكلمين المجرية ؟! فردت بنعم تنفست الصعداء قليلا وقلت : حسنا هل أنت مجرية ؟ . فردت بعد أن جال بصرها بشكل خفيف نحو الشمال واليمين ، نعم أنا من (السكان الأصليين) المجريين فأردفت .. قائلا بغرابة : (سكان أصليين) ؟! فقالت نعم نحن سكان مجريون لسنا رومان هنا فى المدينة هناك رومان قادمون وهناك مجريون أصحاب



الارض !! ازدادت دهشتى وقررت أن أتوقف عن سذاجتى فقلت لها : الجو ممطر لابد من شيء ساخن أريد (قهوة بالحليب) ! لكنها قالت : هل أنت من بودابست ؟! أحب أن أزور تلك المدينة .. وأنا عائد للفندق الصغير سألت أحدهم : لماذا هذه الإعلانات مشوهة وتلك مشطوب عليها ؟! فرد إنهم بعض الرومان يقومون بتمزيق الملصقات التى تستخدم اللغة المجرية ، فهذا كان إعلانا عن مسرحية منذ أشهر ، لكنهم قاموا بتلطيخ الملصق وستجد مثل هذا كثير هنا ، وأضاف نحن مقيدون لا نستطيع استخدام ثقافتنا بشكل يليق بنا، ونشعر أننا مواطنون من الدرجة الأدنى ، لا يوجد مسؤول كبير منا ، كلهم جاءوا من هناك وأشار بطريقة الفلاحين بيده إلى اتجاه بوخارست ، كانت المسافة تقترب بيننا وبين الفندق ، وكانت المسافة بيني وبين حصولي على إجابات لأسئلتى تقترب هى الأخرى من خط النهاية .

بعد يومين أيقنت أننى فى مستعمرة بلا صوت ، فلا أحد يدرك المعاناة هناك ، وحتى أولئك الذين أدركوها لا يحملون أية جدية تجاه البوح بأفكارهم، بشكل معلن أو حتى بمجرد التفكير بصوت مسموع .



أقلية ذات مواصفات خاصة !!

هناك حقيقة مهمة عند الحديث عن ترنسلفانيا والأقلية المجرية فى رومانيا وهى إنها ليست مماثلة للأجناس العرقية ذات المميزات الثقافية أو الدينية أو الشكلية (الوافدة) التى تنحدر من سلالات المهاجرين أو العمال الذين استجلبوا أو أحضروا إلى أرض جديدة ، أو ليست لهم علاقة ارتباط بالأرض التى يقطنوها ، ولذلك فهم لا يتطلعون إلى الحد الأقصى من أحلام الأقليات ، وهى العدالة والمعاملة المحترمة والفرص الاقتصادية الجيدة ، والخدمات الأفضل والاعتراف بالخصوصية الثقافية ، فهذه مطالب درجت أغلب الأقليات على المطالبة بها ورفع شعارات حولها ، ولكن الأقلية المجرية هناك ترى أن الحد الأدنى لمطالبها هو الاستقلال الذاتى ، ويرتفع هذا المطلب فى حده الأقصى إلى تقرير المصير أو العودة للوطن الأم .

إن العديد من الباحثين والمحللين قد وجدوا مبررات لمسألة عدم المساواة بين سكان أمريكا الجدد والأقليات التى كانت هى السكان الأصليين لأمريكا . ذلك أن تلك الأقلية اصطدمت بوفرة المهاجرين الجدد، الذين سعوا للاستحواذ على كل شىء ، وقاموا بإمداد الآلية الاستعمارية بمواد أولية . كأيدى عاملة جاهزة للعمل أو الخدمات وكل مواطن الشغل ، مما سحق أية أمكانية للسكان الأصليين فى التأقلم مع أو الاستفادة من هذا الوضع الجديد ، وأزم مشكلة السكان الأصليين أو الأقلية صاحبة الأرض .

إن القاعدة التاريخية لأزمة الأقليات ، لا تخرج عن إطار التحولات الهامة فى الحياة ، وهى لصيقة كنتيجة ، بالاحتلال والهجرات والظروف الاقتصادية

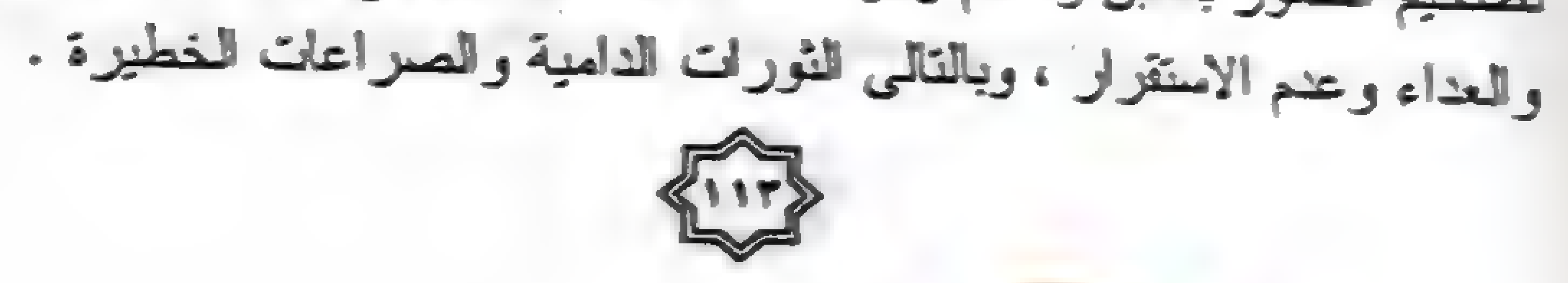


كالمجاعات والجفاف وما شابه ذلك ، وكمثال على ذلك فقد نشأت مشاكل الأقليات بسبب أطماع التوسع سواء إبان الحقبة الإمبراطورية الاستعمارية كالإمبراطورية الروسية أو الدولة العثمانية أو التوسع الفرنسى والانجليزى فى مختلف بقاع العالم ، وتتفاوت أزمة الاقليات بشكل كبير ، ففى الوقت الذى نجد فيه أن هناك أقليات يتمتع أفرادها بفرص الوصول إلى وظائف سياسية كبيرة وخدمات مدنية جيدة ، وحقوق للنشاط السياسى ومساواة أمام القانون ، فإننا نلاحظ أنه خلال حقبة ما بعد الحرب الأولى وحتى نهاية الثمانينات ، واجه المجريون فى رومانيا صعوبة بالغة فى مسائل الملكية والمشاركة فى المهن والوظائف الرسمية والتفاوت فى الدخل ، كذلك صعوبات فى استعمال اللغة والتقاليد الثقافية والموروث المجرى ، وتعانى المنطقة أسوأ حالاتها فهى تفتقر لفرص الخدمات الأساسية ولا تتمتع بمساواة فى فرص الصعود والارتقاء الاجتماعى ، بل إنها واجهت درجات من القمع الثقافى والسياسى بشكل مقلق .

لقد تعرضت المنطقة للإهمال المتعمد ، وتم استبعاد أية فرصة لإمكانية إنشاء قاعدة تنمية حقيقية لها ، وفى الوقت الذى كانت تجرى فيه عمليات مساعدة مركزية ممنهجة لسكان من أصول رومانية فى المنطقة عبر تقديم قروض سكن ومساعدات عينية ، فقد تم تجاهل المطالب الأساسية للسكان المجريين مما زاد وضعهم المعيشى سوء .

إن هناك تشابها كبيرا بين حياة (الغجر) المؤلمة فى أوروبا وبين المجريين فى رومانيا فالظروف العملية سيئة ، والإهمال التعليمى سائد والقرى لا تتمتع برعاية بيئية جيدة ، كما أن معدل النظافة لا يعطى دليلا على أية أهمية لهم .

إن أسوأ ما فى الأمر هو شعور الإنسان بالتفرقة ، فالتفرقة تقود إلى تضخيم الشعور بالغبن والظلم وهو العامل الأساسى لإندلاع أعمال الكراهية والعداء وعدم الاستقرار ، وبالتالى الثورات الدامية والصراعات الخطيرة .



لقد سعت الماركسية إلى رفع شعار الأممية لحل مشاكل الأقليات ، واستفادت رومانيا من هذه الشعارات في تخدير (الطبقة العاملة) المجرية المغلوبة على أمرها في الإقليم ، وتحت مزاعم المساواة والمشاركة تم الحفاظ على هدوء الأقليات المطحونة في الأنظمة الماركسية ولكن ما أن تفكك الاتحاد السوفيتي راعي الماركسية حتى طفت على السطح مشكلة الأقليات العرقية . ويعود ذلك بالأساس إلى الرغبة في التحرر واستعادة الذات الجماعية وحب الهوية الوطنية ، والرغبة في طي صفحة الماضي الكئيب ، فالعامل القومي شيء لايموت مهما طال الزمن .

إن أساس مطالب الأقليات الوقية تم تلخيصها في مذكرة التفاهم التي وقعت في (مؤتمر التعاون والأمن في أوروبا سنة ١٩٩٠) والتي تتلخص في :

- استخدام اللغة الأم .
- الاعتراف بحق العبادة .
- حرية التنقل والاتصال والإقامة والتملك .
- حرية الحصول على المعلومات والتعبير عن الرأي .
- تأسيس الروابط والأندية الثقافية والاجتماعية .
- حرية المشاركة السياسية وحق الرقي الوظيفي .
- حق المواطنة ، واحترام الخصوصيات .

إن هناك نهج خاص للأقليات في وسط أوروبا أو ما يعرف سياسيا بأوروبا الشرقية ، فقد كانت أقل المناطق إثارة لمسألة حقوقها السياسية والاقتصادية مقارنة بمناطق أخرى من العالم لي كالصراعات العرقية في آسيا أو أفريقيا أو



في منطقة أمريكا اللاتينية ، والتي شهدت احتجاجات وثورات مستمرة ودامية .

ويلاحظ المراقبون أن السكان المجريين لا يستخدمون العنف والتمرد والاحتجاج الدموي كما أنهم يتميزون بالسلوك الهادئ في التعبير عن مطالبهم وحسب الدراسة التي أوردها المؤلف(تيد روبرت جار) وترجمها الأستاذان مجدي عبد الحكيم وسامية الشامين وراجعها الأستاذ د. رفعت و د. سعيد أحمد في كتاب (أقليات في خطر) والمعنونة بمؤشرات مظالم وصراعات فإن المجريين في رومانيا يتمتعون بسلوك غير عدواني وهو ما يعطي مؤشرا على أن معاناتهم ستطول كثيرا ! .

وثمة تعليلات من علماء الاجتماع لسيادة حالة الهدوء والخمود التي ميزت حكم السلطة الشيوعية في بلدان شرق أوروبا والاتحاد السوفيتي وكيف أن الأقليات كانت تميل للسكون وهو أن ذلك يعود إلى المنهج الخاص بحالة التعبئة لشعوب أوروبا الشرقية ومنها الأقلية المجرية في ورمانيا وعمليات غسيل المخ وكذلك إلى سببين اثنين :

أولهما : شدة القمع المركزي الذي مارسته الدولة الرومانية ضد أية مطالب للأقليات بطريقة غير إنسانية فكان أي احتياج معناه الخيانة للدولة المركزية ، وخصوصا في ظروف الحرب الباردة بين شطري العالم .

والثاني : الشعارات الاشتراكية ودعاوى المساواة والأدبيات الجماهيرية في الإعلام والتي كانت تمتص جزءا كبيرا من الوعي الذاتي للقوميات وتحوله إلى الوعي الأحمر ، لذلك اقتصرت مطالب الأقلية المجرية على الاستقلال الثقافي في البداية سعيا للاستقلال (الذاتي) الذي كان مقبولا كخطوة أولى في سعي



الأقلية إلى الوصول إلى المطلب (الحلم) وهو العودة للوطن الأم ، إن الاستقلال الذاتى هو قضية الشعوب الأصلية فى صراعها مع مستعمريها لأن الاستقلال هو الوسيلة الوحيدة لمواجهة الطمس الثقافى ومحو المعالم الخاصة بهذه الأقلية ذات التاريخ المميز ...

إن مواجهة نزع الأراضى ، والموارد ، وسوء توزيع الفرص ، وإهمال التعليم والنظافة والرعاية الاجتماعية والصحية لا يمكن مواجهتها إلا بالدعوة للاستقلال الكامل ، لأنها أعمال تعيد للأذهان تصرفات المستعمرين .

إن الشعور بالاضطهاد السياسى والثقافى ومشاعر الاحباط ، وهى مشاعر لا تصاحب إلا أولئك الذين فقدوا الأمل فى أوضاعهم القائمة هذه الحالة تعزز الرغبة فى الاستقلال ، والمطالبة به للخروج من دائرة الاضطهاد .



دراسة فى خارطة المجر

هناك قاعدة فى عالم الاستعمار وهى أن البلدان التى تقوم باحتلال دول أخرى تخسرحين تتحرر مستعمراتها وتلك الدول الغاصبة تخسر الأرض ولكنها تحتفظ بشعبها بكامل عدده لأنها دولة غاصبة يعود مواطنوها وجنودها إلى أرضهم الأصلية ، لكن فى (الحالة المجرية) تبدو هذه القاعدة ذات استثناءات كبيرة. فالملاحظ لخارطة المجر شعبا وأرضا يستطيع أن يرى كيف بدأت الدولة المجرية فى الضمور الحاد والمستمر وكيف تحولت المجر من مملكة مترامية الأطراف تطل على البحر المتوسط وتتمتع بأرض واسعة وشعب كبير العدد، يرى الملاحظ كيف تحولت هذه المملكة إلى دولة صغيرة فمرة تفقد الأرض وتارة تفقد الشعب ، وأخرى تفقد البحر وثالثة تفقد الأنهار حتى أصبحت فى شكلها الأخير مثل حمامة صغيرة فى قفص ضيق ، فالبلد كان يضم الكروات السلوفاك والسلوفينيين والرومان والنمساويين والألمان والصرب ثم تحول هذا البلد المتفرع الاعراق إلى بلد صغير ، بل أصبح مواطنوه فى العديد من الاقاليم التى انسلخت عنه أصبحوا أقليات وأجانب رغم أنهم يعيشون فى أرضهم ولعل أكبر الخسائر التى حلت بالمجر هى اقتطاع اقليم ترنسفانيا وضمه إلى رومانيا بكل سكانه مما شكل سابقة دولية لم تحصل إلا فى عهود ستالين أو عهود الإمبراطوريات المتجبرة التى آلمت الشعوب كثيرا وقسمت نفسها بشكل عنصرى وقومى تحت شعار الأعراق الصافية والقوميات المنزهة .

ولعل أغرب ما صاحب هذه الاقتطاعات والضم هو تحول هذا العمل التعسفى إلى قانون سائد وإلى عرف تاريخى فلا أحد يتحدث الآن بأى شكل عن




حقوق المجريين فى سلوفينيا أو سلوفاكيا أو حتى ترنسلفانيا ، وكل الدراسات والأبحاث حولت هذه المشكلة إلى مجرد لطروحات أكاديمية لا تتعدى المشاعر الإنسانية وحتى تلك المعاناة العرقية والتمييز القومى الذى يعانيه سكان تلك الأقاليم لن يأخذ حقه فى الإعلام العالمى ، ويبدو أن أوروبا المعاصرة لا تريد أن تفتح جراحات الماضى ويبدو أن حظ المجريين شبيه بحظ الأرمن والأكراد تلك الأمم التى ضاع حقها التاريخى تحت هدير أصوات الأمم الكبيرة والقوية، وفقدت هويتها بالإكراه أمام المصالح الدولية الكبرى التى لا ترحم .

إن الأقليات المجرية فى الدول المجاورة للمجر ليست أقليات بالمفهوم القانونى أو المواثيق الدولية لأنها ليست مهاجرة أو قادمة لظروف العيش والعمل ، بل هى أقلية ينطبق عليها وصف الشعب حيث الأرض والسكان والمقومات المعيشية ، لذلك فهى تمثل حالة احتلال وفى منظور القانون الدولى وحقوق تقرير المصير فإنها تملك مشروعية المطالبة بهذه الحقوق ، ولا يعبر المطالبة بحقوق هذه الملايين عن أية كراهية أو حقد تجاه الجيران بقدر ما يعبر عن كلمة حق ، إذ لا يعقل والعالم قد دخل القرن الحادى العشرين أن تظل مشكلات العسف والجور والغبن الاجتماعى والقهر العرقى والتمييز العنصرى قائمة وخصوصا فى أوروبا التى احتضنت ميلاد الإعلان العالمى لحقوق الإنسان وحق المواطن ومؤتمرات حق تقرير المصير وجمعيات الرفق بالحيوان وغيرها ، وتملك آلة إعلامية رهيبه تصدح كل صباح بمشاكل حقوق الإنسان ، ولا يعقل أن تصمت أوروبا المتحضرة ، والتى تزعم أنها أرض الحرية أمام الانتهاكات وعمليات التغريب الثقافى وإضاعة الهوية القومية لملايين البشر فى وسط أوروبا .

ورغم أن العديد من البحاث والكتاب قد أشاروا إلى مشاكل الاقليات الاثنيه فى أوروبا إلا أن أحدا لم يسمى المشكلة وفق حجمها الحقيقى ، فهى



ليست مشكلة أقليات فقط بل مشكلة معقدة تقترب من الاحتلال ، فالذى يمنع السكان المحليين من التحدث بلغتهم واستخدام مواردهم ويمارس عليهم صنوف الإبعاد والمنع والحفظ والمراقبة ويطلق الأجهزه القامعة تفعل أفعالها ضدهم وضد تطلعاتهم ويقوم بتغيير مستمر لشكل التواجد الديموغرافى ويوطن قوميات أخرى وسط هذا الأقلية الذى يفعل ذلك إنما يمارس نفس سلوك القوى الغاشمة المحتلة التى تريد أن تحول بين هؤلاء الناس والمستقبل ، وتريد أن تفرض أمرا واقعا يصعب تغييره مثلما فعل ستالين فى الاتحاد السوفيتى حين زج بملايين الروس فى تلك الجمهوريات التى احتلتها إمبراطوريته أو مثلما تفعل إسرائيل فى الأراضى الفلسطينية المحتلة ، لكن دروس التاريخ أقوى من خطط ستالين والمحتلين ، فها هى الحقوق عادت وستعود ، وها هو العامل القومى والدينى يفرض نفسه كعنصر حاسم فى تغيير التاريخ وتحريك أحداثه ، وهو ما يعكس حقيقة أن مشكلة الأقليات المجرية لابد أن تر النور ، وأن هؤلاء المعتقلين بالجملة لابد أن ينالوا مبتغاهم سواء فى حكم محلى أو استقلال ذاتى أو العودة والانضمام مجددا إلى البلد الأم والقومية المجرية . إن الحمامة الصغيرة لن تصبح صقرا لكنها من الممكن أن (ينمو لها الريش) وتحلق عاليا ، ويعود إليها ما نتفه الصيادون .



ترنسلفانيا والحاضر
دوغما إقصاء الآخر

حين قاد رجل الدين المجرى (لاسلو توكساش) ثورة الشعب ضد النظام الشيوعى فى بوخارست، وأشعل بثقة كاملة لهيب ثورة لم تخمد ، إلا بعد أن سقط نظام تشاوشيسكو ، اعتقد الكثير من المجريين فى منطقة تراسلفانيا أن تباشير المستقبل قد هلت ، فقاموا بتظاهرات فى شوارع المدن الكبرى والقرى فى أرضهم ، وهم يهتفون بيوم الخلاص الذى لم يبدأ ، ويلوحون بالأعلام المجرية ، واشتعلت حمى الحرية ، وطافوا فى الشوارع مهللين للنصر الذى لم يغادر بوخارست وتم منعه من التقدم باتجاه ترنسلفانيا ومعانقتها ، ولقد حدثت أحداثا دموية بالغة الأسف ، فقد جرى اقتتال فى الشوارع بين الرومان والمجريين ، ولقد استمعت إلى مآسى حدثت دون أن يوليها الإعلام العالمى أى اهتمام ، ففى غمرة الأحداث الكبيرة كمحاكمة تشاوشيسكو وتصفيته هو وزوجته إلينا ، كان من العصى على الإعلام أن يهتم بأحداث تبدو له صغيرة فى قرية أو مدينة أخرى غير بوخارست ، وفى خضم نقل صور ألسنة اللهب ومعارك الشوارع والدبابات التى دارت رحاها فى بوخارست انتفت من خارطة اخبار الإعلام العالمى أية إمكانية لنقل صور آخرى من رومانيا حتى ولو كانت مهمة وخطيرة ، كالتى حصلت فى منطقة تيمشوارا وتاجموريش وموراميريش حيث جرى قتال حقيقى طعن فيه الجار جاره ، والصديق صديقه ، ففى تلك المنطقة الملتهبة ظن المجريون أنهم أولى بارتداء أكاليل الغار والمفخرة فهم أول من أشعل نار الثورة ضد نظام تشاوشيسكو ، وهم أول من دفع الثمن ، عندما



هبطت القوات الخاصة بمدافعها الرشاشة وراحت تحصد الأرواح بلا تمييز، وحين حسمت المعركة لصالح أعداء تشاوشيسكو ، ظن المجريون أنهم قد نالوا ما يرغبون فيه وهو الحرية والعودة للوطن الأم ، فما حدث فى ألمانيا دليل على إمكانية عودة الماضى ، لكنهم بدلا من نيل حقهم التاريخى جوبهوا بالمطاوى والسيوف والرصاص ، لقد دفعوا ثمن إشهار رغباتهم ودفعوا ثمن التفكير بصوت عال ، لقد تحولت المقاهى والأزقة فى بعض القرى والمدن إلى ساحات حرب ووجد المجريون فى رومانيا أنفسهم فى ذات المكان غرباء فى أرضهم أجانب فى منازلهم .

وللرومان فى ترنسلفانيا مزاعم خطيرة ، تتمثل فى أن المنطقة جزء لا يتجزأ من رومانيا متجاهلين الحقائق التاريخية والجوانب الثقافية والجغرافية، ولعل المعاملة والممارسات السيئة التى نهجتها بوخارست تجاه هذا الشعب أمر يدعو للدهشة والاستغراب ، فالرومان لا يعاملون سكان المنطقة على أساس تمتعهم بنفس الحقوق والواجبات كالمواطنين الآخرين وإنما عاملوهم كما يعامل المستعمرون الشعوب المقهورة ولقد سعى الرومان هناك إلى إلغاء الهوية المجرية للسكان وجردوهم من قدرة المبادرة والابتكار من خلال خلق مشكلة معاملة يومية وتوطين الإحساس بالدونية لدى أولئك السكان ، لقد تم إنكار الهوية القومية المميزة للمجريين واضطهدوا ومنعوا من مواصلة الدراسة بلغتهم .. وفى عهد (تشاوشيسكو) جرت عمليات تشويش على البث الإذاعى والمرئى ، وقيل لى أنه كانت تجرى عمليات استجواب وملاحقة لأى مواطن (رومانى من أصل مجرى) يستقبل ضيف أو أحد اقاربه من المجريين ، وكانوا يقودونهم إلى مراكز الامن ويخضعوهم للتحقيق حول ما هى طبيعة الزيارة ومراميها ، وهل لها علاقة بالوضع فى المنطقة ؟ ، وهى أسئلة وممارسات ما كانت لتحدث لولا أن الرومان لا يسلكون مسلك المستعمر فى المنطقة .

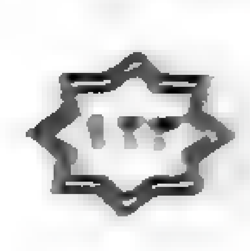


لقد تحدث أستاذ الأنثروبولوجيا المصري (أحمد أبو زيد) في مقالة (الأيديولوجيا العرقية وإبادة الشعوب) المنشورة في جريدة الحياة اللبنانية الصادرة في شهر ٥/١٩٩٩م تحدث قائلا :

إن الرغبة في إبادة (الآخر) لا تمثل مسلكا عنصريا فقط بل إنها تخفي وراءها أيديولوجيا عرقية هوجاء لا تخضع لمنطق ، فوراء تلك الرغبة (نوعما) أو عقيدة مخيفة ترتقي إلى مستوى القناعة التامة ، بلا تورع أخلاقي ، من أجل اجتثاث واقتلاع الطرف المقابل ، ولعل أحداث البوسنة والهرسك وحرب كوسوفو المروعة قد أعطت مصداقية لهذا القول ، وقبل كل ذلك كانت أحداث تيمشوار ، أكبر دليل على مصداقية ما طرحه عالم الأنثروبولوجيا المصري. وهناك إغراءات معلوماتية تجعلنا نسعى للربط بين ما تركته الحقبة التركية في وسط أوروبا ، وبين ما تركته في البلدان العربية من عقيدة إقصاء الآخر. وهناك إغراء آخر للقيام بمقارنة مماثلة بين ما تركته تلك الحقبة وما تركته الماركسية حين انهارت الإمبراطوريتان .

فنحن ندرك أن انتهاء سيادة أمة ما على الشعوب الأخرى يترك مخلفات يصعب حصرها ، ويخلق عوامل تؤدي إلى ضبابية الرؤية وتشويش الذاكرة ويجعل المستقبل رهينا بواقع الخلاص ، بما يعقد حياة تلك الشعوب الارتباط الهلامي بين الماضي والحاضر من أجل المستقبل . ووضع كهذا يصعب عملية المعرفة الحقيقية للأوضاع ويخلط الأسئلة والإجابات ويجعل مهمة الباحث عويصة، لقد ترك العثمانيون الأتراك مآسي في أطراف القارة الأوروبية وخلفوا وراءهم أكواما من المشاكل وهو نفس ما خلفوه حين تراجعوا تاركين الأقطار العربية فريسة سهلة للاستعمار الغربي ، ولعله من الغرابة بمكان أن نلاحظ تشابه الأوضاع في كلتي الجغرافيتين الأوروبية والعربية التي نكبت بالحقبة

التركية ، فالتخلف والضياع والتشويش هما السمة المشتركة لتلك الشعوب وهما القاسم الوحيد الذي ورثته تلك الشعوب ، وهو ما ينعكس إلى اليوم على الحالة (الجيوسياسية) المتعثرة ، أما المقارنة الثانية الأخرى فهي بين بقايا الجغرافية العثمانية والجغرافية الماركسية ، لقد خدر العثمانيون ضحاياهم بشعارات الدين والفتح ورسالة التسامح والإنسانية ، وخدر الماركسيون ضحاياهم بشعارات العدالة الاجتماعية وفائض القيمة وعلاقات الإنتاج والاشتراكية ، وبينما كانت المشاكل الحقيقية تطغى على تلك الشعارات كانت الامبراطوريتان التركية والماركسية تعيش على مبدأ إدارة الأزمات حيث إنها تبحث عن الحلول والعلاج لها والمفيد والمثمر ، واتجهت للتهدئة والتسويف والمماطلة والقمع ، وبتفحص نتائج الجغرافيتين وبقاياها تظهر الدلائل على مدى بشاعة تلك الحقبتين ومدى تشابه نتائجهما وآثارهما . لعل والفارق الوحيد في المقارنة هو أن الماركسية لم تصمد طويلا مثل التركية العثمانية التي لبثت قرونا عدة ، لقد اجتاح الأتراك الدولة الرومانية الشرقية وبسقوط عاصمتها القسطنطينية سنة ١٤٥٣م سقطت حدودها الجغرافية تباعا وطيلة الفترة الممتدة من القرن الخامس عشر إلى القرن التاسع عشر وهي المرحلة التاريخية المهمة التي ظهرت فيها الثورة الصناعية في العالم ارتسمت بوضوح معالم المأساة على الشعوب التي أخضعها الأتراك ، وفيما نهضت أوروبا البعيدة عن سيطرة الأتراك بداية من القرن الثامن عشر باتجاه إرساء معالم المجتمع الحديث والناهض ، انسحقت تلك الشعوب التابعة تحت الاحتلال التركي وفقدت القدرة على التطلع للمستقبل ومع أنه ليس من الإنصاف ولا من خصوصية السلوك العلمي في دراسة الماضي أن نعمم الأحكام ، إلا أن هذه هي الحقيقة .

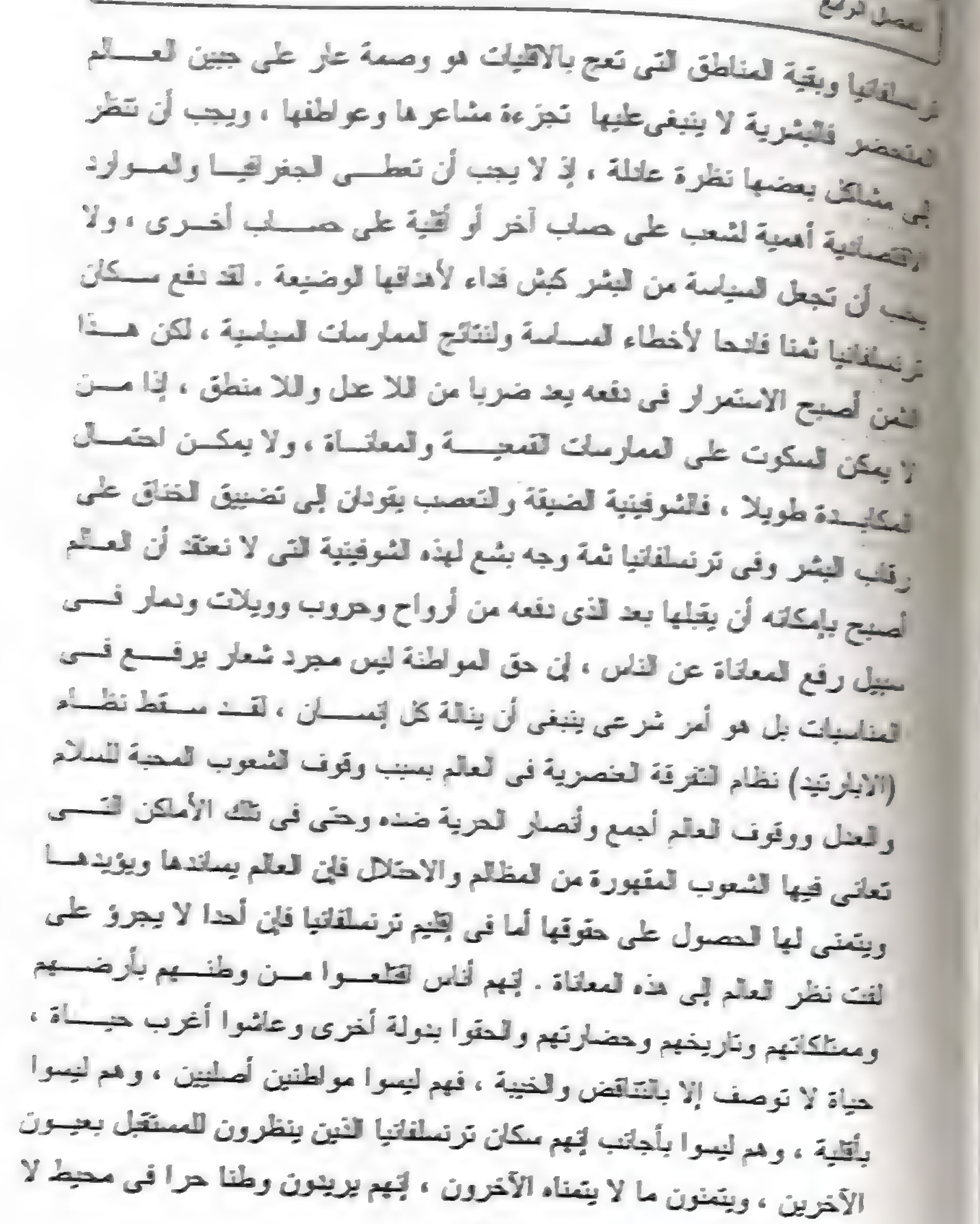




متى يبدأ المستقبل ؟!

يتطلع أبناء ترنسلفانيا إلى الوطن الأم ليس بشغف المهاجر أو المغترب، ولكن بشغف الابن المبتعد عن أمه ، فهم ينظرون من خلال الجغرافيا القريبة إلى الغرب حيث تتعانق الأرض بلا حواجز في التضاريس وينساب الهواء بلا مطبات بينما هم يراقبون مشهد الطبيعة بشيء من حرقة القلب، وللأسف الشديد فإن الحديث عاطفي من أساسه لأنه يتعرض لمأساة إنسانية ولا يخلو الحديث عن الإنسانيات من المشاعر والأحاسيس ، فالشعب الذي يمنع من الحديث بلغته وتفرض عليه ثقافة أخرى هو شعب معتقل ، والشعب الذي يتعرض للتمييز وإثارة مشاعره عبر إحساسه بالدونية وأنه مواطن مشبوه ومن الدرجة الدنيا هو شعب بلا مبالغة أسير، والشعب الذي يحرم مواطنوه من ارتقاء سلم الوظيفة والرقي هو شعب موضوع في خانة معينة كالشخص الذي يتعرض للإقامة الجبرية ، والشعب الذي يهمل وضعه الصحي والتعليمي والبيداغوجي هو شعب لا يملك حريته ، والشعب الذي يكابد الفقر والحرمان هو شعب مصاب بداء عدم القدرة على اللحاق بالشعوب المرفهة ، والشعب الذي لا يستفيد من خيرات أرضه ولا تتطور لديه التنمية الزراعية والصناعية هو شعب محكوم عليه بالبقاء في خانة العوز ، إن هذه المواصفات تتصهر جميعها في وصف حالة سكان ترنسلفانيا حيث تعم صنوف المعاناة ويشترك الجميع في الشعور بالمرارة والإحباط ، إن العالم المتحضر لا ينبغي له أن يترك الامور تسير وفق أهواء الماضي، يجب أن يصحح الأخطاء لكي يتجنب المشاكل ، ولكي يعطى فرصا متساوية أمام البشر للحياة الكريمة ، إن الظلم الذي يقع على سكان اقليم





ترنسلفانيا وبقية المناطق التي تعج بالاقليات هو وصمة عار على جبين العالم المتحضر فالبشرية لا ينبغي عليها تجزءة مشاعرها وعواطفها ، ويجب أن تنظر إلى مشاكل بعضها نظرة عادلة ، إذ لا يجب أن تعطى الجغرافيا والموارد الاقتصادية أهمية لشعب على حساب آخر أو أقلية على حساب أخرى ، ولا يجب أن تجعل السياسة من البشر كبش فداء لأهدافها الوضيعة . لقد دفع سكان ترنسلفانيا ثمنا فادحا لأخطاء الساسة ولنتائج الممارسات السياسية ، لكن هذا الثمن أصبح الاستمرار في دفعه يعد ضربا من اللا عدل واللا منطق ، إذا من لا يمكن السكوت على الممارسات القمعية والمعاناة ، ولا يمكن احتمال المكايدة طويلا ، فالشوفينية الضيقة والتعصب يقودان إلى تضييق الخناق على رقاب البشر وفي ترنسلفانيا ثمة وجه بشع لهذه الشوفينية التي لا نعتقد أن العالم أصبح بإمكانه أن يقبلها بعد الذي دفعه من أرواح وحروب وويلات ودمار في سبيل رفع المعاناة عن الناس ، إن حق المواطنة ليس مجرد شعار يرفع في المناسبات بل هو أمر شرعي ينبغي أن ينالة كل إنسان ، لقد سقط نظام (الابارتيد) نظام التفرقة العنصرية في العالم بسبب وقوف الشعوب المحبة للسلام والعدل ووقوف العالم أجمع وأنصار الحرية ضده وحتى في تلك الأماكن التي تعاني فيها الشعوب المقهورة من المظالم والاحتلال فإن العالم يساندها ويؤيدها ويتمنى لها الحصول على حقوقها أما في إقليم ترنسلفانيا فإن أحدا لا يجرؤ على لفت نظر العالم إلى هذه المعاناة . إنهم أناس اقتلعوا من وطنهم بأرضهم وممتلكاتهم وتاريخهم وحضارتهم والحقوا بدولة أخرى وعاشوا أغرب حياة ، حياة لا توصف إلا بالتناقض والخيبة ، فهم ليسوا مواطنين أصليين ، وهم ليسوا بأقلية ، وهم ليسوا بأجانب إنهم سكان ترنسلفانيا الذين ينظرون للمستقبل بعيون الآخرين ، ويتمنون ما لا يتمناه الآخرون ، إنهم يريدون وطنا حرا في محيط لا

يريد ذلك ، ويريدون ثقافة حرة وفرصة حرة وحياة حرة فى محيط شوفينى يعتبر تلك المطالب بمثابة خيانة ودعوة لتقسيم الوطن ، إنهم ينظرون للمستقبل على أمل الخلاص بينما ينظر من حولهم للمستقبل على أنه مصدر لمزيد من الذوبان والانصهار فى الوسط الجديد ، هذه هى أسئلة المستقبل الصعبة التى تبحث عن إجابات خالية من التعقيد ، إجابات تزرع الأمل فى رؤوس مليئة بالإحباط والخوف والترقب ، وهذه هى رؤية محايدة لشخص لا ينتمى جغرافيا لا للرومان ولا للمجريين لكنه ينتمى للإنسان المقهور الذى يكابد من أجل غد أفضل ، رؤية لا تقيم الأحداث بشكل منحاز ، ولا تجامل أو تزيف التاريخ ، رؤية أعتقد أنها لوجه الحقيقة والمستقبل ، الذى نتسائل نحن أيضا .. متى يبدأ ؟ !! .

* * *



الخاتمــة

هناك مخاوف الآن من إثارة قضية إقليم ترنسلفانيا أو أردى ، وتتلخص تلك المخاوف في أن هذه المشاكل ستقود إلى عدم استقرار فى وسط وشرق أوروبا ، وتتعرض الحكومات المجرية المتعاقبة إلى ضغوط كبيرة من أجل عدم تأجيج المشاعر القومية أو الحديث عن مجريي الحدود ، سواء في سلوفاكيا أو في رومانيا أو سلوفينيا ، وأصحاب تلك المخاوف يزعمون أن إعادة تنشيط الذاكرة القومية لشعوب المنطقة سوف يعيد وسط أوروبا إلى عهود الحقد والعنصرية ، وهذا القول ليس صحيحًا لأن إعادة الحقوق لا تعنى التعصب ، وإعادة الشرعية ليست تعدى على أحد ، ولا تمثل حالة عدوانية ، بل هي من صميم الواجبات الوطنية والإنسانية ، فالعالم كله وقف ضد نظام (الابارتيد) العنصري في جنوب أفريقية لأنه يمثل ظلماً فادحاً ، والعالم كله وقف ضد التطهير العرقي في البوسنة وكوسوفو لأن هذا السلوك بربري ولا يقبله الإنسان، والعالم كله ضد الاعتداءات والاحتلال وسياسة القوة أينما كانت وضد الظلم كيفما كان ، لذلك فالمطالبة بحقوق سكان تلك المناطق يعد أمراً طبيعياً ولا يدعو للخوف ولا للخجل .

لقد وقعت المجر على معاهدة الصداقة والجوار مع رومانيا ومع سلوفاكيا وهم جميعاً أعضاء فى منظمة التعاون والوحدة الأوروبية وربما سيكونون ضمن الناتو .. ويعتقد المتفاءلون أن ذلك سيقضى على المظالم الاثنية ، لكن ذلك ليس صحيح ، فالمصاب بعاهة يظل كذلك حتى ولو دخل أكبر المستشفيات ، إن المجريين في تلك المناطق لا ينظرون للمستقبل بشيء من الثقة فهم لديهم أسئلة

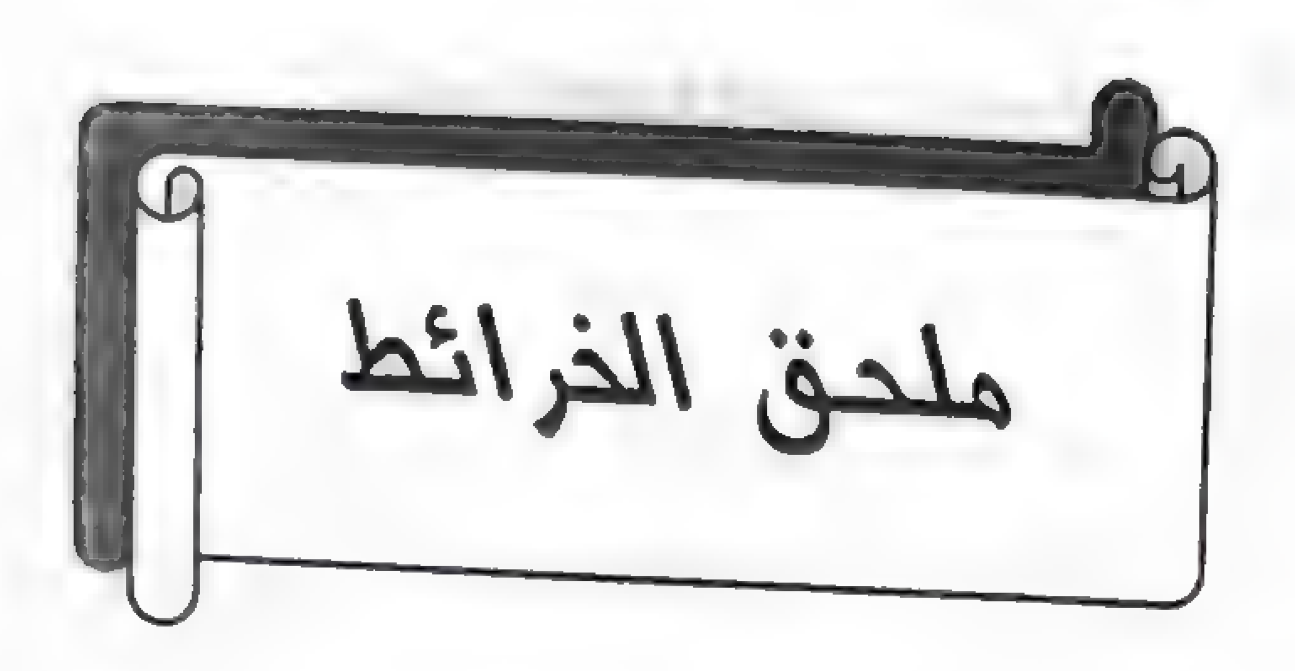


كثيرة ، ومن حقهم الحصول على إجاباتها ، فهم يعتقدون أن الجميع قد تركهم وذهب بعيداً عنهم ، لذلك فإن درجة الإحباط تزداد لديهم ، وهذا أمر مقلق لأن الثورات والتمردات تنطلق دائماً من المناخات المحبطة ، إن الملايين التي تقطن المناطق المحاذية للحدود المجرية تنظر إلى اليوم الذى تعود فيه إلى وطنها مثلما تعود العصافير إلى أغصانها إن المتفائلين منهم ينتظرون اليوم الذى يتحدون فيه مع الوطن الأم ، وهذه نظرة متفائلة ، بينما ينظر بعض الساسة إلى الحالة بشيء من اللامبالاة فربما يكون فتح صفحات الماضي أمر بات مكروهاً فى أوروبا اليوم التي أذهب عقلها اليورو والأوزون ولحم البقر المصاب بالتلوث .

وللأسف فكل البعيدين عن جغرافية أوروبا بما فيهم أولئك الذين ينتمون لقارات بعيدة عن أوروبا ولا يملكون نظرة منحازة لأحد يعرفون أن هناك ضغوطاً من الناتو والاتحاد الأوروبي ضد أية فكرة لمناصرة دعوات الحرية للأقليات ، وإعادة النظر في التقسيم الجغرافي للحدود المرسومة ، ولأن المجر الرسمية تتمتع بوضع جيد فى الناتو وفى الاتحاد الأوروبي فإن الضغوط عليها ستكون قوية لغض النظر عن أية مطالب من طرف المجريين لصالح قوميتهم المبعثرة ، وأسرابهم المعتقلة ..





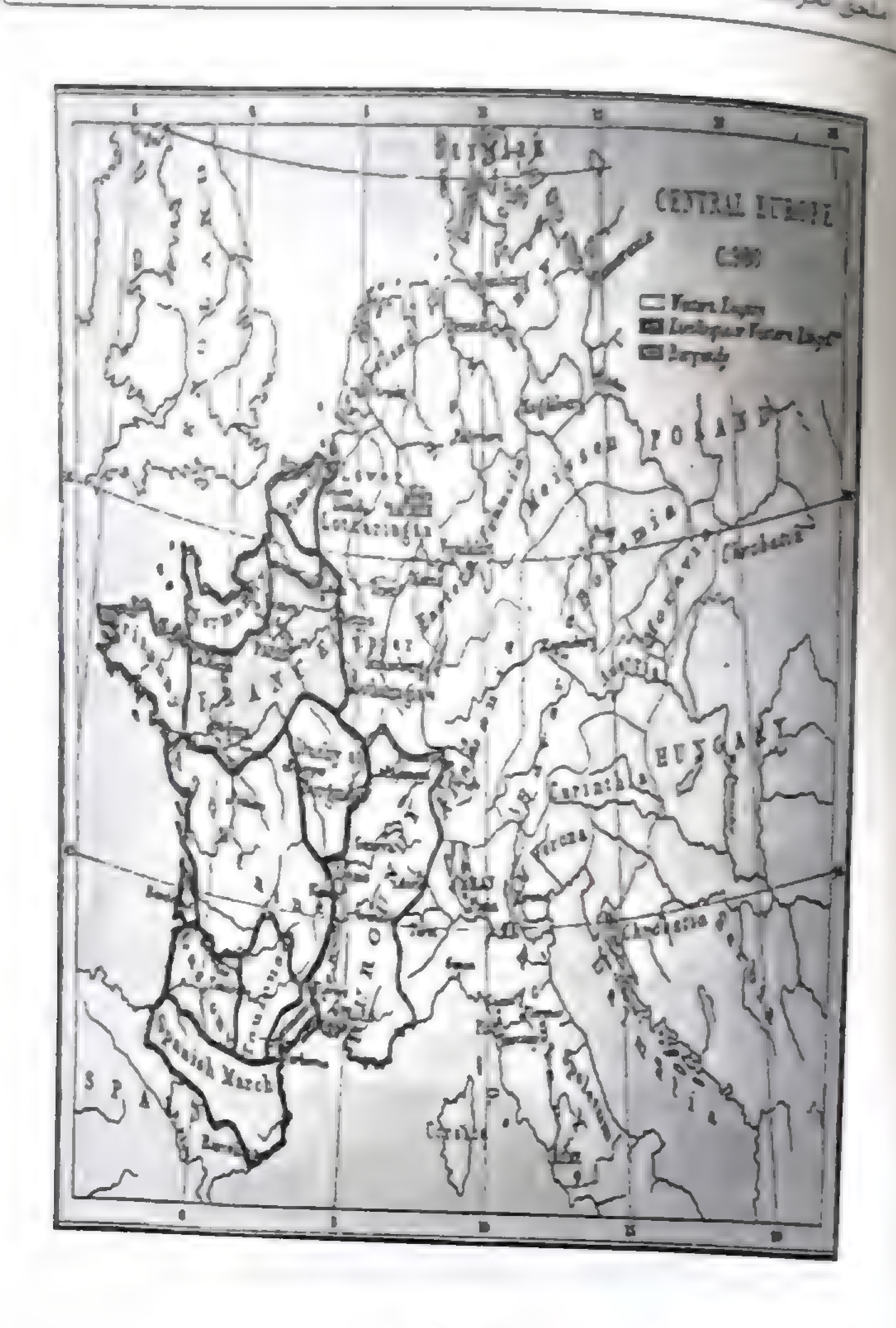

ملحق الخرائط

ملحق الخرائط

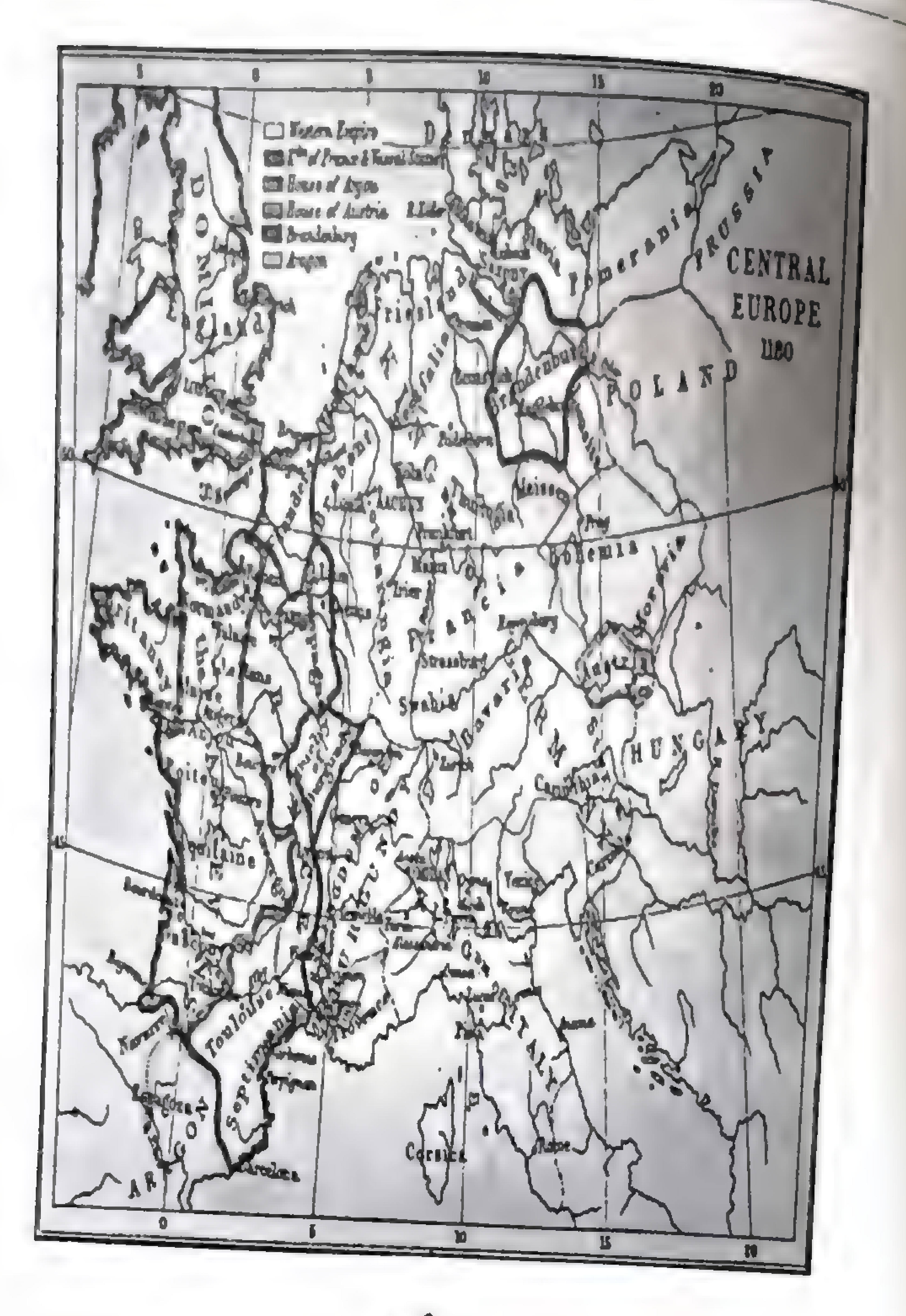
مجموعة خرائط لوسط أوروبا توضح أن الهنغار أو الهون ، و هم المجريون كانوا مستقرين في نطاقهم الجغرافي منذ القرن الثامن . و تشير الخرائط إلى الوجود المجري باستمرار كسكان مستقرين . والخرائط تعود إلى سنوات ٩٨٠ . ١١٨٠ ، ١٣٦٠ ، ١٤٦٠ ، ١٥٥٥ ، ١٨١٠ ، ١٨٦٠ .

* * *



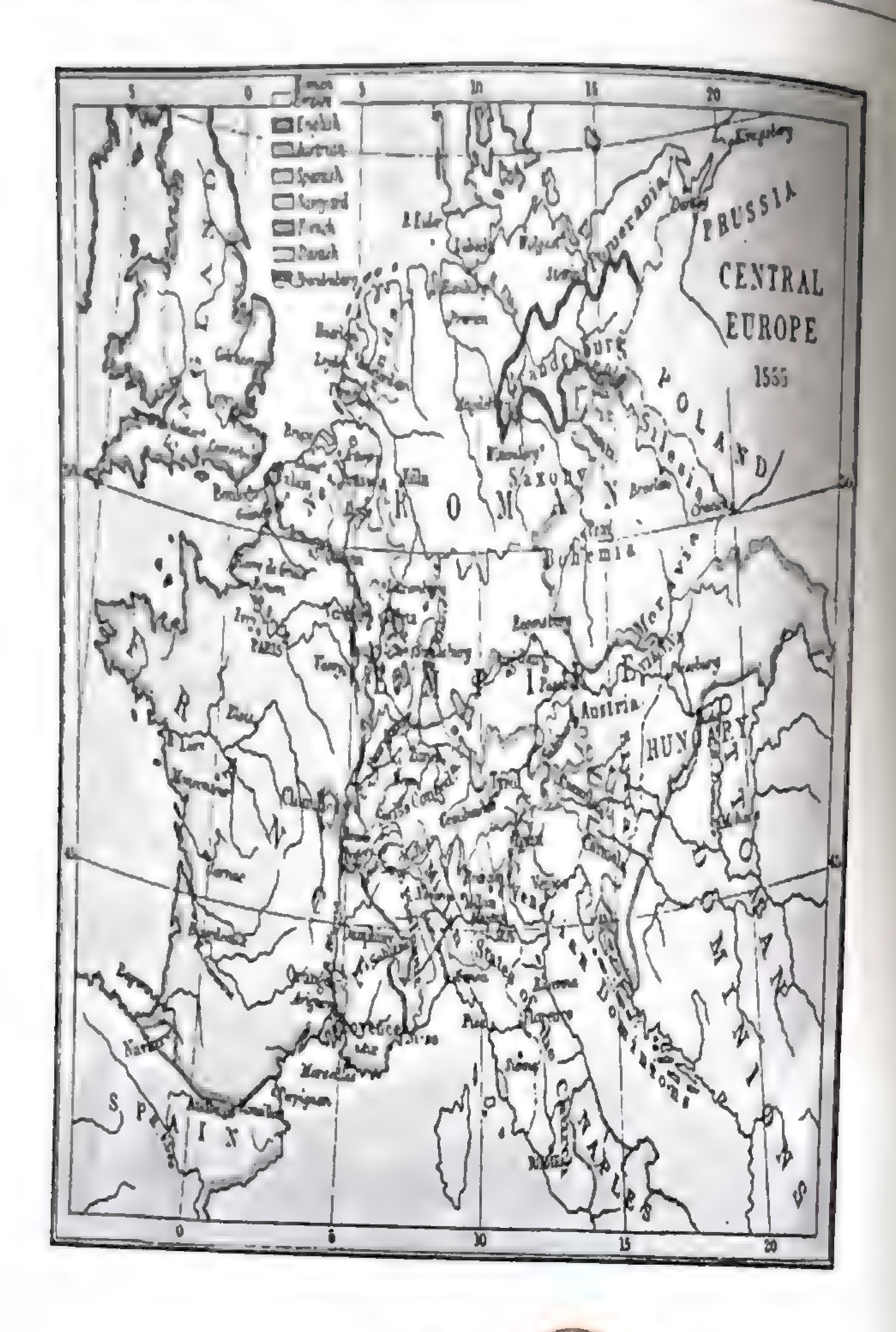




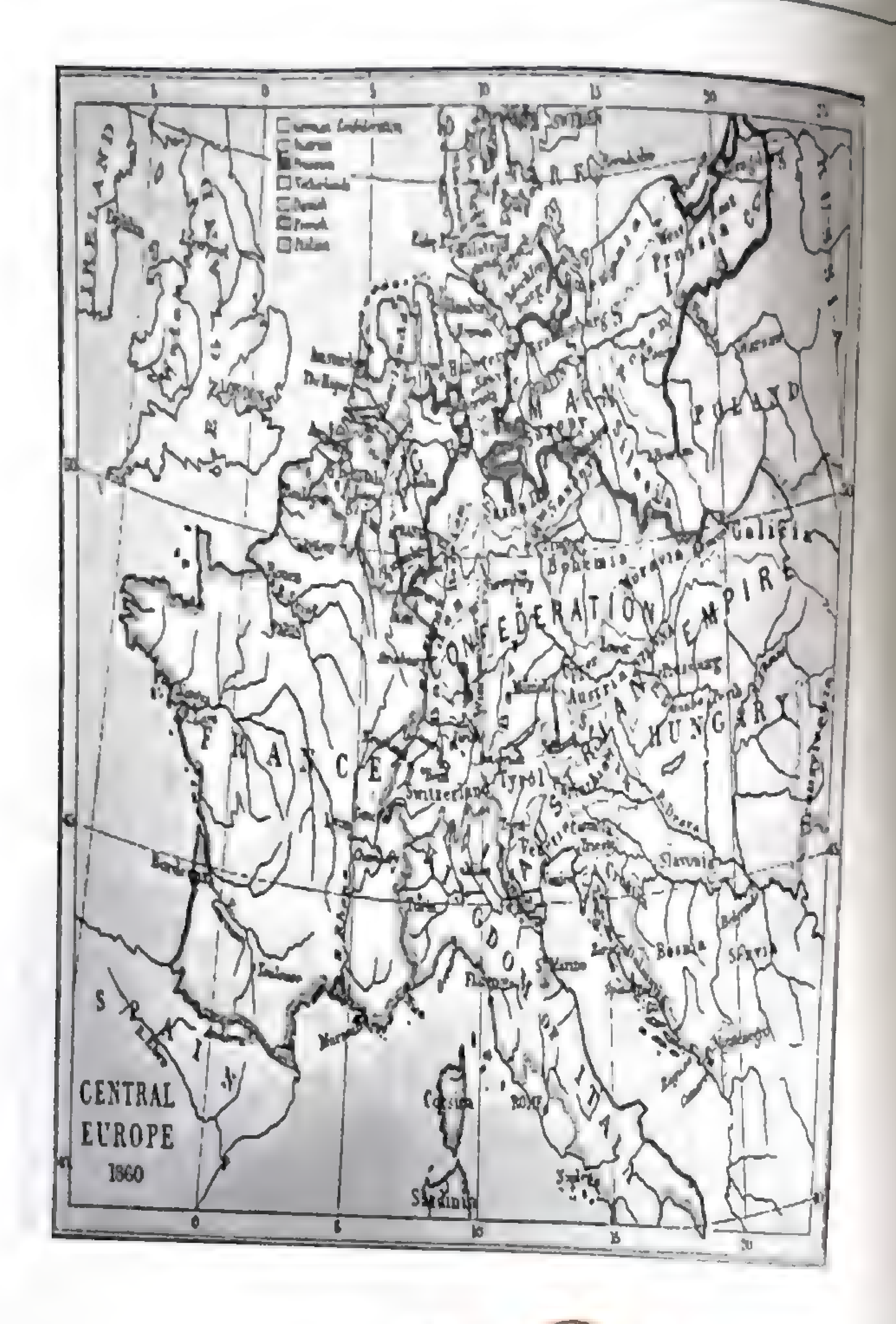

CENTRAL
EUROPE
1180
PRUSSIA
Pomerania
POLAND
Bohemia
HUNGARY
England
Corsica
Toulouse
Septimania
ITALY


CENTRAL
EUROPE


CENTRAL
EUROPE
HUNGARY
ARAGON


CENTRAL
EUROPE
1555
PRUSSIA
POLAND
Pomerania
Saxony
Silesia
Bohemia
Austria
HUNGARY
SPAIN
NAPLES
Brandenburg





CENTRAL
EUROPE
1860
FRANCE
CONFEDERATION
EMPIRE
HUNGARY
POLAND
Galicia
Bohemia
Switzerland
Tyrol
Bosnia
Servia
Slavonia
Corsica
Sardinia
ROME
IRELAND
SPAIN






CENTRAL EUROPE
1810
RUSSIA
PRUSSIA
D. OF WARSAW
Silesia
Galicia
Bohemia
AUSTRIAN EMPIRE
Bavaria
PARIS
Slavonia
Bosnia
Servia
OTTOMAN EMPIRE
Corsica
Naples
SPAIN
Ireland





الحدود السياسية لدولة المجـر سنة ١٨١٥



خارطة المجر الكبرى عام ١٨٥٠

بعد الاستقلال عن النمسا ، وتأسيس إمبراطورية النمسا ومملكة المجر



وخلال سنة ١٨٦٤ بعد الاستقلال فقدت
المجر إقليم لمبارديا الذى أصبح جزء من السيطرة النمساوية





سنة ١٨٦٧ فقدت المجر إقليم فيينو الذى تحول لسلطة النمسا



سنة ١٨٧١ بعد أربع سنوات فقدت المجر
إقليم داهاتيا ، وبوكوفا ، وإقليم جالسيا ، وكانت
سنة ١٨٧١ بحق سنة بداية الضمور الجغرافى للمجر الكبرى

دولة المجر سة ١٩٢٤

انجلترا
ألمانيا
فرنسا
رومانيا
إيطاليا
اليونان
تونس
صقلية
ليبيا
مصر

دولة المجر سة ١٨٧٠

إنجلترا
ألمانيا
روسيا
فرنسا
النمسا
إيطاليا
رومانيا
إسبانيا
روما
الجزائر
تونس
طرابلس
البحر الأبيض المتوسط
ليبيا
مصر



الاقليات الاثنية فى شرق أوروبا



مناطق تواجد العرق المجري في بعض دول شرق أوروبا حاليا .

مراجع عربية

لمزيد من المعلومات ينصح بالعودة إلى :

- العثمانيون فى التاريخ والحضارة تأليف الدكتور محمد حرب .
- دراسات فى تاريخ أوروبا المعاصر - دار المعرفة الجامعية - مصر الدكتور فاروق عثمان أباظة .
- تاريخ أوروبا والعالم فى العصر الحديث - دكتور عبد العظيم رمضان .
- تاريخ أوروبا فى العصر الحديث تأليف هـ . م . ل. فيشر تعريب . الأستاذ أحمد نجيب هاشم ، والأستاذ وديع الضبع - دار المعارف .
- تاريخ أوروبا الشرقية . تأليف فلاديمير تيسمانيانو ، ترجمة أمل رواش - الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- أقليات فى خطر . ٢٣٠ أقلية فى دراسة سياسية واجتماعية . تأليف تيد روبرت جار ، تعريب الأستاذ مجدى عبد الحكيم والأستاذ سامية الشامى .
- التاريخ وكيف يفسرونه . تأليف ألبان أجاويد جرى ، ترجمة عبد العزيز جاويد - الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- ماكس فيبر والتاريخ . تأليف كاترير كوليو - تيلين - ترجمة د. جورج كتورة - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - مصر .
- مولو توف ... مائة وأربعون حديثاً . تأليف فيليكس تشويف ترجمة الأستاذ : زياد الملا، والأستاذ : فايز البرشة ، دار الطليعة الجديدة .
- أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين ، جرانت وتمبولي : ترجمة بهاء فهمي ، ومحمد علي أبو درة ولويس إسكندر (مصر - القاهرة) ١٩٦٧م .
- القومية والمذاهب السياسية د. عبد الكريم أحمد - (مصر - القاهرة) .
- جريدة الحياة اللندنية ١٤/٥/١٩٩٩م .



المراجع الأجنبية

1- Weekly Defense Monitor – Volume 20 issue 30.July 30. 1998.

2- Roots of Ethnic conflict .by Kent state university 1983.

3- E.H Carr. The international crisis 1919. 1939.

4- D.Eisenhower: Crusade in Europe.

5- H.wilson. H: The League of Nations 1929.

6- A. Toynbee: Survey of international affairs. 1920. 1923.

7- J.A. Spender: Fifty years of Europe 1923.

8- E.L. Wood ward: Three studies in Europe conservatism 1929.

9- C. Grant R : Life of Bismarck . 1918.

10- J. Maurice: The revolution 1848 – 1857.



فهرس الموضوعات







هذا الكتاب

لا شك أن للأقليات وضعها المقلق والمتأزم والذي يسبب إشكالية للمجتمع العالمي كله على كافة الأصعدة : سياسيًا ، واقتصاديًا ، واجتماعيًا ، ودوليًا ، ومعيشيًا ، وإنسانيًا فى المقام الأول ..

وقد تتبع هذا الكتاب السيرة التاريخية لدولة المجر وشعبها على مر العصور وحتى الآن ، وبيّن كيف أنها تحولت من إقليم واسع مترامي الأطراف يضم عرقيات عديدة إلى دولة ضيقة حبيسة مقيدة ... كطائر فى قفص !!

وانصبّ اهتمام الكتاب تحديدًا على إقليم " ترنسلفانيا " المجري الأصل ، جغرافيًا وبشريًا ، والذي اقتطع واقتلع من دولته وأضيف إلى دولة أخرى .. هى رومانيا !!

إن مؤلف الكتاب - والذي درس بالمجر فأحبها وملأه الإعجاب بها - يلفت لأول مرة النظر إلى الأقلية المجرية التى تعيش فى هذا الإقليم ، ويبيّن مدى الظلم الواقع عليها والغبن الذى تتعرض له .. فهم محرومون من التحدث بلغتهم ، واستخدام مواردهم ، ويُمارس عليهم صنوف الإبعاد والمنع والمراقبة ، وتفعل الأجهزة القامعة أفعالها ضدهم وضد تطلعاتهم ، وتقوم بتغيير مستمر لشكل التواجد الديموغرافي فى الإقليم .

هل ستنفرج الأزمة ويحمل المستقبل بشائر أمل تحد من معاناة ترنسلفانيا وأهله ؟ أم أن حظ المجريين سيكون شبيهًا بحظ الأرمن والأكراد - تلك الأمم التى ضاع حقها التاريخي تحت هدير أصوات الأمم الكبيرة والقوية ، وفقدت هويتها بالإكراه أمام المصالح الدولية الكبرى التى لا ترحم ؟!

دار الأمين للطباعة والنشر والتوزيع *Dar Al Ameen*

القاهرة : 13 شارع البركة الناصرية (من شارع نوبار) لاظوغلي - الرقم البريدي 11461
ص.ب 1702 العتبة 11511 تليفون 3554376 - فاكس : 3900130
الجيزة : 1 ش سوهاج من ش الزقازيق - الهرم - ص.ب 1315 العتبة 11511 - تليفون 5634699
جمهورية مصر العربية Cairo - Egypt